البتار
ALBATTAR

تفريغ من سلسلة

فصل الكلام في نواقض الإسلام

الصادرة عن إذاعة البيان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

سبحانك اللَّهُمَّ، لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللَّهُمَّ يا معلم آدم وإبراهيم علمنا، ويا مفهم سليمان فهمنا.

أيها الأحبة في الله؛ السلام عليكم ورحمه الله وبركاته، ونحمد الله عز وجل أن جمعنا مرة أخرى معكم في سلسلة جديدة نتدارس فيها وإياكم معالم هذا الدين، ونتذاكر فيها وإياكم معالم السير إلى الله عز وجل حتى نعبد الله على بصيرة، وحتى يصحَّ لنا المعتقد وتسلم لنا العبادة؛ لنلقى الله عز وجل يوم القيامة ثابتين حنفاء غير مبدلين ولا مغيرين، فننعم بالجنان وبرضا الرحيم الرحمن سبحانه جل في علاه.

في هذه السلسلة الجديدة المباركة أيها الأحبة، نتدارس فيها وإياكم الحديث عن نواقض التوحيد، نواقض الإسلام، نواقض الإيمان، فالتوحيد والإسلام له نواقض ومبْطِلات تنقضه من أصله، ولا بدّ لكل مسلم يشهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله أن يكون على بيّنة من هذه النواقض والمبْطِلات حتى يحذرها ولا يقع فيها، لذلك فإنّ الحديث عن هذا الأمر العظيم حديث لابدّ أن نسهب فيه وأن نكثر من الكلام فيه حتى تتقرر هذه العقيدة في نفوس الناس وحتى يثبت التوحيد في القلوب، وهذا من سنة نبينا صلى الله عليه وسلم.

أيها الأحبة؛ إنّ الإيمان والتوحيد لا يتحقق إلا باعتقاد وقول وعمل، فليس الإيمان أو التوحيد مجرد كلمة تقال بل لابدّ بالاعتقاد والقول والعمل حتى يتحقق الإيمان ويصح الإسلام ويتجرد التوحيد لله،

فكما في الحديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- كما عند مسلم وغيره: (مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ).

وكذا قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ).

وقال -صلى الله عليه وسلم-: (أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ).

وقال تعالى: (فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤمِنونَ حَتّى يُحَكِّموكَ فيما شَجَرَ بَينَهُم ثُمَّ لا يَجِدوا فى أَنفُسِهِم حَرَجًا مِمّا قَضَيتَ وَيُسَلِّموا تَسليمًا) [النساء: ٦٥].

وكذا قال -صلى الله عليه وسلم-: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ).

وغير ذلك أيها الأحبة من الآيات والأحاديث البيّنات الواضحات، الصريحات المحكمات البيّنات، الدالات على أنّ ديننا وتوحيدنا قول وعمل واعتقاد ونيّة وسنة.

ومن هنا لابدّ أن نعلم ما هو الشيء الذي ينقض هذا الدين ويبطله، فالإنسان قد يقع في نقيض الإيمان وهو لا يشعر.

أيها الأحبة في الله؛

إنَّ للإيمان والتوحيد نواقض ومبطلات، وهذه النواقض تخرج صاحبها من الإسلام والتوحيد فتجعله كافرًا مشركًا، فما هي هذه النواقض؟

إنّ نواقض التوحيد والإيمان، نواقض الإسلام أو نواقض التوحيد هي: الشرك والكفر، وهي الأعمال والأقوال والاعتقادات التي تخرج المسلم من الملّة ويصبح بها كافرًا مرتدًا بعد أن كان مسلمًا موحدًا، ويكون مصيره يوم القيامة في النار خالدًا مخلدًا، قال عز وجل: **(إِنَّ اللَّهَ لا يَغفِرُ أَن يُشرَكَ بِهِ وَيَغفِرُ ما دونَ ذلِكَ لِمَن يَشاءُ) [النساء: ٤٨].**

إنَّ نواقض الإسلام هي: الشرك والكفر، فما الذي يترتب على وقوع الإنسان في الشرك أو الكفر؟ يترتب على ذلك عدّة أمور:

أولاً: أنّه يصبح بارتكابه للشرك وللكفر مشركًا كافرًا مرتدًا، **قال عز وجل: (وَمَن يَدعُ مَعَ اللَّهِ إِلهًا آخَرَ لا بُرهانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّما حِسابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفلِحُ الكافِرونَ) [المؤمنون: ١١٧]**

فهذا الذي وقع في عبادة لغير الله عز وجل وهذا عمل مكفّر، كفّره الله بذلك **فقال: (إِنَّهُ لا يُفلِحُ الكافِرونَ).**

ومثل هذا كثير في كتاب الله عز وجل، **قال تعالى: (وَمَن يَرتَدِد مِنكُم عَن دينِهِ فَيَمُت وَهُوَ كافِرٌ فَأُولئِكَ حَبِطَت أَعمالُهُم فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ) [البقرة: ٢١٧].**

ثانيا: مما يترتب على وقوع الإنسان في الشرك أو الكفر أنّه يحبط جميع عمله، فمن أشرك أو كفر حبط عمله فلا تنفعه لا صلاة ولا صيام ولا حج ولا جهاد، **قال تعالى: (وَلَو أَشرَكوا لَحَبِطَ عَنهُم ما كانوا يَعمَلونَ) [الأنعام: ٨٨]**، بل إنّ الله عز وجل يخاطب نبيه محمدًا -صلى الله عليه وسلم- وهو المعصوم، **(وَلَقَد أوحِيَ إِلَيكَ وَإِلَى الَّذينَ مِن قَبلِكَ لَئِن أَشرَكتَ لَيَحبَطَنَّ عَمَلُكَ) [الزمر: ٦٥].**

ثالثاً: مما يترتب على وقوع الإنسان في الشرك أو الكفر عدم مغفرة الله له، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغفِرُ أَن يُشرَكَ بِهِ وَيَغفِرُ ما دونَ ذلِكَ لِمَن يَشاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

رابعاً: مما يترتب على وقوع الإنسان في نواقض التوحيد أنّه لا يدخل الجنة أبدًا بل يبقى في النار خالدًا مخلدًا، وهذا بخلاف المسلم العاصي صاحب الكبائر فإنّه إن دخلها لا يخلّد فيها بل يخرج بما معه من أصل التوحيد، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشرِك بِاللَّهِ فَقَد حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ الجَنَّةَ وَمَأواهُ النّارُ وَما لِلظّالِمينَ مِن أَنصارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وكما أخرج مسلم عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أنّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ).

قال الإمام النووي -رحمه الله- في شرحه لصحيح مسلم: "فَلَا يَخْلُدُ فِي النَّارِ أَحَدٌ مَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ وَلَوْ عَمِلَ مِنَ الْمَعَاصِي مَا عَمِلَ كَمَا أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ وَلَوْ عَمِلَ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ مَا عَمِلَ".

أيها الأحبة في الله؛

إنّ على المسلم أن يعلم أنّه قد يقع في الشرك أو الكفر دون أن يشعر، فنواقض الإسلام أو نواقض التوحيد ليست فقط عبادة الأصنام أو الأحجار بل قد يكفر الإنسان بكلمة يتفوَّه بها فيخسر دنياه وآخرته، وقد يكفر الإنسان باعتقاد يستقر في قلبه فيخسر دنياه وآخرته، وقد يكفر بفعل ما يبالي به فيخسر دنياه وآخرته، بل وكثير من الناس ما خرجوا من التوحيد إلى الشرك وما خرجوا من الإسلام إلى الكفر إلا بسبب الجهل، فإمكانية وقوع الإنسان في الكفر هو الشرك وجهله ببعض صور ذلك، وخلود المشرك في النار تجعل القلب يرتعد خوفًا من أن يقع

في شرك وهو لا يشعر، لذلك فإنَّ الخوف من نواقض التوحيد هو خوف واجب على كل مسلم، والحذر واجب.

انظر إلى هدي النبي -صلى الله عليه وسلم- كما عند أحمد وغيره، كان يدعو دبر كل صلاة: (**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ**) وكان عليه الصلاة والسلام يقول كل صباح ومساء: (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ**)

ومن تأمل في حال الخليل إبراهيم عليه السلام، إمام الحنفاء، يدعو بقلب وجل قائلًا: (**وَاجنُبنى وَبَنِيَّ أَن نَعبُدَ الأَصنامَ**) [إبراهيم: ٣٥]، إبراهيم الذي كسر الأوثان وعرف سفاهتها مع ذلك يدعو الله بخوف أن يجنبه عبادة الأصنام.

لذلك أيها الأحبة؛

إنّ ما نراه من اطمئنان بعض الناس -بل وحتى بعض المجاهدين- اطمئنانهم من الوقوع في الشرك هذا ليس من هدي الأنبياء ولا الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، بل

إنّ هدي الأنبياء وتابعيهم بإحسان الخوف من الوقوع في الشرك وهو لا يدري، قال البخاري -رحمه الله- في صحيحه: "بَابُ خَوْفِ المُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لاَ يَشْعُرُ".

وقال إبراهيم التيمي: "ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذَبًا".

وقال ابن أبي مليكة: "أدركت ثلاثين من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول إنّه على إيمان جبريل وميكائيل"، ويُذكر عن الحسن: "ما خافه إلا مؤمن، ولا أمنه إلا منافق". انتهى كلامه يرحمه الله.

إذن أيها الأحبة،

لابد أن نخشى من الكفر، وأن نحذره ونجتنبه، فما هو الشرك والكفر؟ واستمع أخي الكريم، وانتبه جيدًا:

الشرك أو الكفر: هو اسم جنس يشتمل ويطلق على كل أفراده، فكل قول أو فعل أو اعتقاد مخرج لصاحبه عن الإسلام فإنّه يندرج تحت اسم الشرك والكفر، ولذا هنا قد يسأل سائل قبل أن نفصّل في الحديث عن تلك النواقض: ما هو الفرق بين الشرك والكفر؟

فنقول: اختلف أهل العلم، فمنهم من ذهب إلى أنّهما مترادفان، وأنْ لا فرق بينهما، وأنَّ كل كافر هو مشرك، وكل مشرك فهو كافر، ومنهم من ذهب إلى أنَّ الكفر أعم والشرك أخص، بمعنى أنَّ الشرك نوع من أنواع الكفر وليس كل الكفر.

والصحيح والله أعلم أنّ الشرك والكفر مترادفان، وأنَّهما واقعان على معنى واحد، وأنَّ كل كافر فهو مشرك، وكل مشرك فهو كافر، ويدل على ذلك أدلة كثيرة منها **قوله تعالى: (وَمَن يَدعُ مَعَ اللَّهِ إِلهًا آخَرَ لا بُرهانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّما حِسابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفلِحُ الكافِرونَ) [المؤمنون: ١١٧]**، فسمى الله عز وجل هنا دعاء غير الله كفرًا.

نجد في آية أخرى في سورة فاطر **قال تعالى: (وَالَّذينَ تَدعونَ مِن دونِهِ ما يَملِكونَ مِن قِطميرٍ۝ إِن تَدعوهُم لا يَسمَعوا دُعاءَكُم وَلَو سَمِعوا مَا استَجابوا لَكُم وَيَومَ القِيامَةِ يَكفُرونَ بِشِركِكُم وَلا يُنَبِّئُكَ مِثلُ خَبيرٍ) [فاطر: ١٣-١٤]**، فسمى الله هنا دعاء غير الله شركًا، وفي الآية السابقة سماه كفرًا.

أيضًا مما يدل على أنّ الكفر والشرك مترادفان وأنهما واقعان على معنى واحد، ما ذكره الله عز وجل في كتابه من قول ذلك الرجل، قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ۝ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ [الكهف: ٣٥-٣٦]،

أنكر قيام الساعة ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ۝ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ۝ لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٣٦-٣٨] إلى أن قال تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٢].

فهو إذًا وقع في كفر وشرك، ثم إنّه لا يتصور أن يكون أحد كافرًا من دون أن يكون مشركًا، قال ابن حزم -رحمه الله-: "فصح أن كل كفر شرك، وكل شرك كفر، وأنّهما اسمان شرعيان أوقعهما الله تعالى على معنى واحد" انتهى كلامه يرحمه الله.

وحقيقة فإنَّ هذا الأمر واضح، فالذي يكذّب بالقرآن أو يستهزأ بالدين يكون كافرًا كما هو معلوم، ويكون أيضًا مشركًا لأنّه أطاع هواه طاعة شركية، وكذا من صرف أي عبادة لغير الله فهذا قد أشرك وبنفس الوقت قد كفر ورد وجحد التوحيد.

ومع ذلك فقد فصل كثير من أهل العلم بين الكفر والشرك في التعريف الاصطلاحي فقالوا: "الشرك هو تسوية غير الله بالله في شيء من خصائص الله، أو جعل الشريك مع الله في ربوبيته أو إلهيته أو صفاته، ومن ذلك صرف العبادة لغير الله فهذا يدخل في الشرك ابتداءً".

أمّا الكفر فقالوا: "هو نقيض الإيمان وهو كل فعل أو قول أو اعتقاد ثبت في الشرع أنّه كفر، مثل إنكار الملائكة او إنكار اليوم الآخر، أو سب الدين أو نحو ذلك".

وفي هذه السلسلة المباركة آثرنا أن نفصل بين الكفر والشرك في ذكر الشواهد والأمثلة، فبعض الصور الشرك فيها أظهر، وبعضها الكفر فيها أظهر، لذلك ارتأينا في هذه السلسلة أن نذكر الشرك وصوره على حدة وأن نذكر الكفر وصوره على حدة؛ تيسيرًا للعلم وزيادة في الفهم.

ثم أخيرًا لا بدّ أن نبيّن للناس أنَّ نواقض التوحيد أو نواقض الإسلام ليست محصورة بعشرة، فصحيح أنّ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- كتب تلك الرسالة الصغيرة في حجمها، العظيمة في نفعها "نواقض الإسلام العشرة"، إلّا أنّه حقيقة لم يقصد التحديد أنّها عشرة بل هي أكثر من ذلك بكثير، ولكنه -رحمه الله- ذكر الشائع في عصره من النواقض، أو لعل مقصده أنّ النواقض مرجعها لهذه العشرة، والله تعالى أعلم.

ونكمل إن شاء الله في درسنا القادم الذي نبتدأ فيه بالحديث عن الشرك، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره.

أيها الأحبة في الله؛ حديثنا في هذا المجلس المبارك عن الشرك الأكبر، فنقول وبالله التوفيق:

الشرك: هو تسوية غير الله بالله في شيء من خصائص الله تبارك وتعالى، هو أن يشرك الإنسان مع الله أحدا في الربوبية أو الألوهية أو أسماءه عزّ وجلّ وصفاته العلى، ولا بدّ أن نذكّر أن الإيمان بالله هو الإيمان بربوبيته عزّ وجلّ والإيمان بإلهيته سبحانه وتعالى والإيمان بأسمائه وصفاته، ونقيض هذا الإيمان وهو الشرك يكون على ثلاثة أقسام:

- **الأول: الشرك بالربوبية.**
- **والثاني: الشرك بالألوهية.**
- **والثالث: الشرك بالأسماء والصفات.**

وسنتحدث إن شاء الله عن كل قسم على حدة، فالقسم الأول وهو الشرك بالربوبية: هو أن يصرف المرء خاصية من خصائص الربوبية لغير الله عزّ وجلّ.

معلوم أن الله سبحانه وتعالى تفرد بالربوبية وخصائصها، فهو الرب الخالق المالك المدبّر السيّد المطاع، المشرع الحاكم الآمر الناهي سبحانه وتعالى، الرازق المحيي المميت، رافع الضر ومنزل الخير، هذه كلها من خصائص الربوبية، وكلها يجب إفراد الله بها.

فالشرك بالربوبية: أن يصرف المرء خاصية من تلك الخصائص لغير الله، وهذا كمن اعتقد أن أحدا غير الله يخلق أو يرزق أو يحيي أو يميت أو يتصرف في الكون، فمن اعتقد أن أحدا مع الله له تصرف في الكون وتدبير فهذا أشرك شركا أكبر في الربوبية، وهذا مثل ما يراه كثير من الناس أو يسمعونه من قولهم أن الطبيعة التي تخلق أو تفعل الكوارث من الفيضانات والزلازل، وهذا من أساسِ شرك العلمانيين وغيرهم من الملحدين، فمن جعل الطبيعة هي التي تخلق أو تتسبب في الكوارث فهذا قد أشرك شركا أكبر في الربوبية، وهذه القنوات الخبيثة الهدّامة تغرس في عقول الناس وأذهانهم هذه النابتة الشركية؛ لمّا يتحدثون عن الزلازل والفيضانات بأنها من غضب الطبيعة، وهذه مقولة خبيثة خطيرة هدامة نابعة عن عقيدة شركية كفرية، يجب على كل مسلم أن يحذر منها وأن ينزّه سمعه عنها.

كذلك من صور الشرك الأكبر: اعتقاد أن هناك من يدبر الكون مع الله أو يتصرف فيه، أيها الأحبة، لا يدبر الأمر إلا الله عزّ وجلّ، فكل ما يحدث في الكون إنما هو بأمر الله عزّ وجلّ وإذنه وهو المتفرد بالتصرف، فإذا اعتقد إنسان أن هناك أحدا غير الله له تصرف في الكون أو تدبير فهذا قد وقع في ناقض من نواقض الدين وأشرك شركا أكبر والعياذ بالله.

ومن صور هذا الشرك من اعتقد أن هناك اقطابا يغيثون من استغاث بهم فهذا أيضًا من نواقض الإسلام وشرك أكبر، وهو يدل على أنّه اعتقد أن لهم تصرفا في الكون وقدرة خارقة.

كذلك من اعتقد أن أحدا غير الله يحيي ويميت أو ينزل المطر ويدفع الضر فهذا أيضا قد وقع في ناقض من نواقض الإسلام.

كذلك من اعتقد أن لله اولياء يقضون الحاجات، ويفرّجون الكربات، ويطوفون على الناس، فهذا أيضا قد أشرك شركا أكبر ووقع في ناقض من نواقض الإسلام.

هذه النواقض حقيقة من أكثر ما يقع فيها المتصوفة؛ إذ إنهم يعتقدون في شيوخهم وأوليائهم المزعومين أنّ لهم تصرفا في الكون وتدبيرا، ولذلك فإن كثيرا منهم يعتقدون أن لله أقطابا وأبدالا يتصرفون في الكون يحيون ويميتون ويخلقون ويرزقون، نعوذ بالله من ذلك الشرك الصراح.

وهنا حقيقة لا بدّ أن نقف وقفة؛ التصوف خاصة في القرون الأخيرة والعقود الأخيرة صار في جلّه ومعظمه قائماً على الشرك؛ إذ إنك لو نظرت في حال الطرق لوجدتها قائمة على تأليه الولي أو الشيخ، ولذلك فإن كثيرا من الطرق يزعمون في أوليائهم أنهم يفرجون الكربات، وأنهم يغيثون من استغاث بهم، وأن لهم تصرفا في الكون وتدبيرا، بل ويدرّسون ذلك لمريديهم أن الأبدال هم الذين يتصرفون في الكون، وهذا بلا شك أيها الأحبة كفر بواح وشرك صراح، **قال الله تعالى: (قُل مَن يَرزُقُكُم مِنَ السَّماءِ وَالأَرضِ أَمَّن يَملِكُ السَّمعَ وَالأَبصارَ وَمَن يُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمرَ فَسَيَقولونَ اللَّهُ فَقُل أَفَلا تَتَّقونَ) [يونس: ٣١].**

فهذا الاعتقاد أيها الأحبة هو كفر وناقض من نواقض الإسلام، فلو نظرت مثلا إلى أحد كتب الصوفية المعتمدة يقول فيه صاحبه وهو يشرح ما يسميها "رابطة المرشد" يقول: "وهي مقابلة قلب المريد بقلب شيخه، وحفظ صورته في الخيال، وملاحظة أن قلب الشيخ كالميزاب ينزل الفيض في بحره المحيط إلى قلب المريد المرابط واستمداد البركة منه لأنه الواسطة، فيجب على المريد أن يستمد من روحانية شيخه الكامل الفاني في الله."

وهذا عدا كثير من أقوالهم الشركية والتي سطروها في كتبهم، ومنها ما قالوه أن الفناء في الشيخ مقدّم على الفناء في الله، فالطرق الصوفية حقيقة إنما هي تؤصل للشرك الأكبر في الربوبية، ومدارسهم وكتبهم قائمة على هذا الشرك، ولذلك في بعض الدول والأمصار يسود اعتقاد عند كثير من هؤلاء أن الأولياء هم الذين يحمون البلاد والأوطان، وهذا يعتقده كثير من اولئك المشركين أن الولي بحكم أن له تصرفا في الكون وقدرة فإنه يحمي البلاد والأوطان.

كذلك من شرك كثير من المتصوفة زعمهم أن الشيخ أو الولي لا يُسأل عما يفعل، ولا معقب لكلامه أو حكمه، وأنه كامل معصوم، وأن ما رآه حقا فهو حق وما رآه باطلا فهو باطل، فذلك أيضًا من الشرك الصراح -نعوذ بالله من ذلك-

أيضًا أيها الأحبة من الشرك في الربوبية السحر، والسحر الذي ينطوي على اعتقاد التصرف والتأثير في الأشياء إنما هو عين الشرك بربوبية الله عزّ وجلّ، لذلك فإن الساحر كافر مشرك بل ورأس من رؤوس الطواغيت، ولا شك أنّ من يتّبع السحرة ويؤمن بادعائهم بقدرتهم على التصرف والتأثير إنما هو مشرك شركا أكبر بالربوبية، نعوذ بالله من ذلك.

أيضًا من الشرك بالربوبية خوف الناس أو بعض الناس من الأولياء والأموات والأجداد، وهنا لابدّ أن نقف؛ إذ إن هذا الناقض منتشر كثيرا في أوساط الرعاع والجهال، حيث إن الخوف من الأولياء والأجداد والأموات منتشر كثيرا عند هؤلاء الجهلة، وما نتج هذا الخوف والخشية إلا بسبب اعتقادهم أن هذا الولي أو هذا الشيخ بالرغم من موته إلا أنّ له تأثيراً وتصرفا في الأشياء، لذلك فإن هذا الخوف خوف السر، خوف التأله من غير الله هو شرك أكبر صراح وناقض من نواقض الإسلام، لذلك فحذار حذار، حذار أيها الناس حذار، كل من وقع في قلبه خوف من ولي

أو شيخ أو ميت فعليه أن يتوب إلى الله وعليه أن يحقّق إسلامه وتوحيده، وعليه أن يبرأ إلى الله من ذلك فهذا عين الشرك والكفر.

وتبيانًا للناس فإنّ من الألفاظ الكفرية التي راجت بينهم تجد حينما يتكلم أحدهم بمجلس عن ولي أو شيخ ميت سرعان ما ينكر عليه آخر فيقول: اصمت فإن الشيخ قد يضرك، أو على كلمة بعض العوام: اصمت فإن الشيخ قد يبين فيك، او يظهر ذلك فيك، أو نحو ذلك من الفاظهم العامية، فهذا القول وهذه الألفاظ إنما هي ناتجة عن خوف من الأموات والأولياء والمشايخ، وهذا شرك أكبر وناقض من نواقض الإسلام.

فلا بدّ لكل إنسان أن يطهّر قلبه من الخوف من الأجداد والأموات والأولياء، وأن يطهّر قلبه من خوف السر لغير الله، وأن يطهّر قلبه من الخوف من السحرة والكهنة وغيرهم، لا بدّ أن يحقق كل واحد منا خوفه من الله عزّ وجلّ.

ونكمل إن شاء الله تعالى في الدرس القادم، وبالله التوفيق ،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره.

كنا أيها الأحبة تحدّثنا في درسنا السابق عن الخوف من الأجداد والأولياء والأموات، وذكرنا أنّ هذا الخوف هو خوف سر وتأله لغير الله وهو كفر أكبر وشرك صراح مخرج من الإسلام.

أيضًا أيها الأحبة من نواقض الإسلام والإيمان ادعاء علم الغيب، فمن ادعى أو اعتقد أنّ الشيخ الفلاني أو الولي الفلاني بزعمه يعرف الغيب فهذا قد أشرك شركًا أكبر بالربوبية، **يقول الله تعالى: (قُل لا يَعلَمُ مَن فِي السَّماواتِ وَالأَرضِ الغَيبَ إِلَّا اللَّهُ) [النمل: ٦٥]**، فلا يعلم الغيب أحد إلا الله عز وجل، واعتقاد أولئك المشركين أنّ شيوخهم وأولياءهم يعرفون الغيب ويطّلعون عليه إنما هو شرك أكبر بالربوبية.

ومن هذا ما يعتقده كثير من المتصوفة أنّ أرواح المشائخ تعلم ما يقع، وأنّ النبي عليه الصلاة والسلام يحضر مجالسهم ويعلم ما فيها وما يحدث فيها، ولذلك فإنّك تجدهم أو تجد كثيرًا من طرقهم يقدّسون ويهتمون كثيرًا بما يسمونه الحضرة، فيرقصون ويجتمعون ويزعمون أنّهم يذكرون الله عز وجل قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، معتقدين أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- يحضر مجلسهم هذا ويعلم ما يقع فيه، حاشا وكلا، فما ذلك إلا صورة فاضحة من صور الخرافات والبدع والشركيات، وعلى هذا جرى كثير من الصوفية يعتقدون في مشائخهم أنّ أرواحهم تجتمع وتحضر ويتناقشون ويتداولون ويمدّون مريدهم بأنواع من الفيوضات والروحانيات والمدد، نعوذ بالله من ذلك كله.

بل إنّ الصوفية من شدّة بدعهم وخرافاتهم وشركياتهم أنّهم بلغ بهم الشطط أن يزعموا أنّ الأولياء لهم قدرة روحانية على ترقية المقامات، فهذا النبهاني وهو من كبار الصوفية ومن شيوخهم

في هذه البلاد الشامية، يزعم في كتابه المسمى "جامع كرامات الأولياء" وهو كتاب مليء ومشحون بالشرك والخرافة والبدع، يزعم أنّ الكعبة التي شرّفها الله عز وجل جاءت إلى ابن عربي، محي الدين ابن عربي، ومحي الدين ابن عربي هذا هو من رؤوس الزندقة والإلحاد، ومن أشدّ من نصر مدرسة وحدة الوجود حتى قال:

"العبد رب، والرب عبد يا ليت شعري من المكلف؟!
إن قلت ربّ فذاك حق وإن قلت عبد فأنى يكلف؟!"

فهذا الخبيث الزنديق الملحد يقدّسه هؤلاء الصوفية ويزعمون أنّه ولي بل من أعظم أولياء الله، فيذكر هذا النبهاني: "أنّ الكعبة جاءت إلى ابن عربي هي والحجر الأسود، وطافت حوله ثم تلمذت له وطلبت منه ترقيتها إلى المقامات العلا فرقّاها وناشدها أشعارًا وناشدته"، نعوذ بالله من ذلك.

طبعا وهذا النبهاني يوصف عند كثير من أهل الشام مع الأسف بأنّه من أولياء الله وأنّه من أهل الله وخاصته، وما هو إلا صوفي خرف ناصر للشرك والبدع، نعوذ بالله من ذلك.

بل إنّ هذا الكلام وهذه الشركيات الطامات حقيقة تجد لها مقدمات في كتب الصوفية الأخرى حتى من المتقدمين وحتى من متفقهة الصوفية، فمثلًا متأخري الأحناف من المتصوفة ذكروا شيئًا من تلك الخرافات وسطّروها في أمّات كتبهم المتأخرة، فهذا ابن عابدين الحنفي الصوفي يذكر في "رد محتار" نقلًا عن غيره من متصوفة الأحناف قولهم -وهو يتحدث في شروط الصلاة وأنّ من شروط الصلاة استقبال القبلة استقبال الكعبة- فيقول ابن عابدين نقلًا عن غيره على سبيل الإقرار، قال: "الكعبة إذا رفعت عن مكانها لزيارة أصحاب الكرامة ففي تلك الحالة جازت الصلاة إلى أرضها".

حقيقه هذا الخرف وهذه البدع موجودة إلى اليوم في أمات كتبهم المتأخرة، والتي تدرس في كثير من المعاهد والمدارس والجامعات، وعجيب والله أن ينزل بهم العقل البشري إلى هذا الحضيض وإلى هذه الترهات والخرافات، وهذا أيضًا حقيقة نجد بعضًا منه أو غيره مسألة عدم تحقيق الإيمان بالربوبية نجده عند كثير من المتصوّفة، فذلك شاعرهم يقول عن النبي - صلى الله عليه وسلم-:

"يا أكرمَ الخلْقِ مالي مَن ألوذُ به   سواك عند حدوثِ الحادثِ العَمم
يا حبيب الإله خذ بيدي   ما لعجزي سواك مستندي"

فهؤلاء إنما يحتاجون بداية أن يتعلموا توحيد الربوبية، وأن يقروا لله بربوبيته سبحانه، لذلك من الخطأ أن يقول بعض إخواننا أنّ معظم شرك الناس إنما هو في الألوهية، لا بل كثير من شرك الناس إنما هو بالربوبية، وها قد نحن ذكرنا لك ولو طال بنا المقام لذكرنا أكثر من كتب الصوفية وغلاتهم، أنّ أصل شركهم حقيقة إنما كان نابعًا من شركهم بربوبية الله عز وجل، بل لمّا يصل الحال إلى أمثال السهروردي والقشيري المقدس عند الصوفية والأشعرية أن يصل بهم الحال إلى قولهم أنّ الصوفية من علاماته أنّه ليس له إلى الله حاجة، نعوذ بالله من ذلك الضلال ومن ذلك الشرك والإلحاد في دين الله، فهؤلاء حقيقة إنّما صرفوا الربوبية بخصائصها إلى الأولياء والمشائخ والأجداد والأموات ولم ينسبوها لله عز وجل، لذلك فأكثر ما يحتاجون هو أن يقروا بربوبية الله تبارك وتعالى مع إقرار بإلهيته سبحانه.

ولذلك فإن المتأمل في آي القرآن يجد أنّ الله عز وجل تكلم كثيرًا في القرآن مقررًا ربوبيته، ومقررًا خصائص ربوبيته تبارك وتعالى، وبالفعل فما توحيد الإلهية إلا ويقوم على توحيد الربوبية وهما متلازمان.

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره.

ما زلنا وإياكم أيها الأحبة في الله في الحديث عن نواقض التوحيد، وكنا قد بدأنا في الكلام عن النواقض التي تتعلق بتوحيد الربوبية فذكرنا جملة منها، ولعلنا إن شاء الله نكمل في هذا المجلس المبارك، فنقول:

إنّ من الشرك الأكبر في توحيد الربوبية نفي القدر وعدم الإيمان، فمما هو معلوم أنّ القدر هو من توحيد الربوبية من إفراد الله عز وجل بربوبيته، فالإقرار بربوبية الله يعني الإقرار والإيمان بإفراد الله عز وجل بالأمر الكوني والتدبير، **قال الله تعالى: (أَلَا لَهُ الخَلْقُ وَالأَمرُ تَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ العالَمينَ) [الأعراف: ٥٤].**

وقال الله تعالى: (قُل مَن يَرزُقُكُم مِنَ السَّماءِ وَالأَرضِ أَمَّن يَملِكُ السَّمعَ وَالأَبصارَ وَمَن يُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمرَ فَسَيَقولونَ اللَّهُ) [يونس: ٣١].

فالذي يدبر الكون والذي يقدر الأقدار هو الله عز وجل **(سَبِّحِ اسمَ رَبِّكَ الأَعلَى ۝ الَّذي خَلَقَ فَسَوّى ۝ وَالَّذي قَدَّرَ فَهَدى) [الأعلى: ١-٣]، وقال تعالى: (إِنّا كُلَّ شَيءٍ خَلَقناهُ بِقَدَرٍ) [القمر: ٤٩]** ، فربنا العظيم هو الذي تفرد بالأمر والتدبير والتقدير، فإيمان الإنسان بأنّ الله عز وجل هو المتفرد بالربوبية من مقتضيات ذلك أن يؤمن بالقدر، وأن يسلّم لله عز وجل وألّا يعترض على أقدار الله، وأن يؤمن أنّه لا يشارك الله أحدًا في التقدير والتدبير، سبحانه وتعالى.

والإيمان بالقدر أيها الأحبة بإيجاز يقوم على أربع مراتب:

الأولى: الإيمان بأنّ الله تعالى علم بكل شيء أزلًا وأبدًا.

الثاني: أنّ الله تعالى كتب ذلك في اللوح المحفوظ، كتب كل شيء في اللوح المحفوظ، قال الله تعالى: (أَلَم تَعلَم أَنَّ اللَّهَ يَعلَمُ ما فِي السَّماءِ وَالأَرضِ إِنَّ ذلِكَ في كِتابٍ إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسيرٌ) [الحج: ٧٠].

وكما في الحديث عند مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ -رضي الله عنهما-، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يَقُولُ: (كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ).

المرتبة الثالثة: الإيمان بأنّ جميع الكائنات لا تكون إلّا بمشيئة الله تبارك وتعالى (وَرَبُّكَ يَخلُقُ ما يَشاءُ وَيَختارُ) [القصص: ٦٨]، (وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) [إبراهيم: ٢٧]، فما من شيء يقع إلا بمشيئة الله وإذنه سبحانه وجل في علاه.

المرتبة الرابعة: الإيمان بأنّ جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى (اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيءٍ وَكيلٌ) [الزمر: ٦٢].

وقال سبحانه: (وَخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ فَقَدَّرَهُ تَقديرًا) [الفرقان: ٢]، وقال الله تعالى: (وَاللَّهُ خَلَقَكُم وَما تَعمَلونَ) [الصافات: ٩٦].

فهذه هي مراتب الإيمان بالقدر، لا يصح للإنسان إيمان بقدر الله حتى يؤمن بها مجتمعة، أن يؤمن بأنّ الله عز وجل علم بكل شيء، وكتب كل شيء، وشاء وأذِن بكل شيء وقع، وخلق كل شيء.

ثم بلا شك الإيمان بالقدر على هذا الوصف الشرعي لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية وقدرة عليها كما قال تعالى: (فَأتوا حَرثَكُم أَنّى شِئتُم) [البقرة: ٢٢٣]، فأثبت لهم مشيئة، وقال تعالى: (ذلِكَ اليَومُ الحَقُّ فَمَن شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ مَآبًا) [النبأ: ٣٩].

لكن لا شك ولا ريب أنّ هذه المشيئة والقدرة إنما هي تحت مشيئة الله عز وجل وإذنه وقدرته وملكه جل في علاه.

ومع تقدم السنين نبتت في الأمة نابتة خبيثة وفرقة زائغة نفت القدر وكفرت به، نبتت فرقة سميت "بالقدرية" وهي فرقة خبيثة؛ قالوا إنّ العبد مستقل بعمله في الإرادة والقدرة، وليس لمشيئة الله تعالى وقدرته أي أثر.

والقدرية منهم الغلاة أو القدرية الأوائل ومنهم دون ذلك، فالغلاة منهم أنكروا علم الله جل جلاله، وزعموا أنّ الأمر أنف -أي مستأنف غير مسبوق بعلم الله عز وجل-، فنفوا أن يكون الله تبارك وتعالى قد علم بكل شيء وإنما أمر مستأنف، وهؤلاء كفّرهم الصحابة -رضي الله عنهم-، وكفّرهم الأئمة حتى قال الشافعي -رحمه الله-: "ناظروا القدرية بالعلم فإن أنكروه كفروا، وإن أقروا به خوصموا".

والنوع الثاني من القدرية هم أقل غلوا من أولئك وهم يثبتون علم الله عز وجل إلّا أنهم ينكرون المشيئة والخلق، أي إنّ الله عز وجل –بزعمهم- لم يشأ فعل العباد ولم يخلقه، زعموا أنّ الله لم يشأ فعل العباد ولم يخلقه، فالقدرية إذن بنوعيها والغلاة ومن دونهم يتّفقون ويشتركون في إنكار مشيئة الله عز وجل وإنكار خلقه لأفعال العباد، وهذا بلا شك شرك أكبر في ربوبية الله تعالى، ذلك لأنّ هذا القول إنّما فيه مع إنكار خلق الله لأفعال العباد إلّا أنّ فيه أيضًا إثبات استقلال العبد بخلق أفعاله، وهذا بلا شك صرف صارخ وصريح للربوبية لغير الله، حينما يعتقدون أنّ العبد مستقل في فعله ومستقل في خلق فعله إنما هم أثبتوا له -لهذا العبد- أنّه يخلق فعله استقلالًا وابتداءً وأنّه لا أثر لمشيئة الله وقدرته في ذلك، إذن فهم أثبتوا في الكون خالقين، القدرية، مؤدى كلامهم أنّ في الكون خالقين: الله عز وجل يخلق والعبد عندهم أيضا يخلق.

وهذا أيضًا فيه تكذيب للقرآن، قال الله تعالى: (وَاللَّهُ خَلَقَكُم وَما تَعمَلونَ) [الصافات: ٩٦]، لذلك سمّوا -هؤلاء القدرية- سمّوا بمجوس هذه الأمة؛ وذلك لأنّ المجوس زعموا أنّ الله خلق النور ولم يخلق الظلمة، وكذلك القدرية زعموا أنّ الله خلق بعض الأعراض دون بعض، زعموا أنّ الله يخلق إلّا أنّ أفعال العباد لا يخلقها وإنما يخلقها العبد.

لذلك حقيقة أيها الأحبة، لما تحدثنا سابقًا عن توحيد الربوبية وبيّننا أنه: "إفراد الله بالخلق، فمن زعم أن هناك أحدًا يخلق مع الله فقد كفر".

هذا الكلام ابتداءً لدى بعض الناس يحسب أن لا أحد يقع فيه، ولذلك راجت عند كثير من الناس -بسبب الجهل- أنّ الشرك منتفٍ في الأمة وذلك لحصرهم أنّ الشرك في عبادة الأصنام أو في ادعاء الخلق مع الله، وحتى هذا الشرك موجود وها قد بيّناه، حينما يزعمون أنّ العبد يخلق فعله هذا يعني اعتقادهم أنّ في الكون أكثر من خالق، فنعوذ بالله من ذلك.

ومما وقع أيضا في هذا الشرك بعض الفلاسفة وكذلك الرافضة وغيرهم بل حتى كثير من العلمانيين هم واقعون أيضًا في هذا الشرك باعتقادهم أنّ العبد يخلق فعله وأنّ الله عز وجل ليس له تأثير في ذلك أو قدرة، نعوذ بالله من ذلك الضلال.

لذلك أيها الأحبة في الله الإيمان بالقدر هو من توحيد الربوبية؛ ولذلك الكفر بالقدر أو نفيه إنما هو شرك بالربوبية

فنسأل الله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يحقق توحيدنا،

ونكمل إن شاء الله في درسنا القادم،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره.

ما زلنا وإياكم أيها الأحبة في الله في الحديث عن نواقض التوحيد، وما زلنا نتحدث عن الشرك بالربوبية.

من أنواع الشرك المنتشرة والتي تفشّت خاصة في العصور المتأخرة: شرك التشريع، الشرك بالتشريع والحكم.

لا بدّ أن نتذاكر أولًا أنّ التشريع والحكم من خصائص الربوبية، وكما بيّنا في دروس سابقة فإنّ الله عز وجل هو المتفرّد بالربوبية والخلق والملك والتدبير والتشريع، وهذه كلها من خصائص الربوبية.

التشريع أيها الأحبة هو سنّ الحدود والأحكام الملزمة التي يسير الناس من خلالها في شؤونهم، والتي تفصل النزاع بينهم، ويدخل في ذلك التحليل والتحريم،

قال الله تعالى: (أَلا لَهُ الخَلقُ وَالأَمرُ تَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ العالَمينَ) [الأعراف: ٥٤].
وقال الله تعالى: (أَم لَهُم شُرَكاءُ شَرَعوا لَهُم مِنَ الدّينِ ما لَم يَأذَن بِهِ اللَّهُ) [الشورى: ٢١].
وقال عز وجل: (وَلا يُشرِكُ فى حُكمِهِ أَحَدًا) [الكهف: ٢٦].
وقال تعالى: (إِنِ الحُكمُ إِلّا لِلَّهِ) [يوسف: ٤٠].

هذه الآيات وغيرها تدل على أنّ التشريع هو حق خالص لله وحده، التشريع الذي هو سنّ الحدود والأحكام الملزمة التي يسير الناس من خلالها في شؤونهم، والتي تفصل النزاع بينهم، ويدخل في ذلك التحليل والتحريم، هذا التشريع هو حق خالص لله وحده، فالله عز وجل هو الذي خلقنا فهو الذي يعلم ما يصلح لنا وما يصلحنا فيشرّع لنا وفق ما يريد جل في علاه.

فالمشرّع هو الخالق العليم ﴿أَلا يَعلَمُ مَن خَلَقَ وَهُوَ اللَّطيفُ الخَبيرُ﴾ [الملك: ١٤] ، خلقنا وعَلِمَ ما يصلح لنا فشرّع لنا ما يريد ﴿إِنِ الحُكمُ إِلّا لِلَّهِ﴾، ﴿وَلا يُشرِكُ في حُكمِهِ أَحَدًا﴾، ﴿أَلا لَهُ الخَلقُ وَالأَمرُ تَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ العالَمينَ﴾، فالحكم والأمر لله وحده، وإفراد الله بالأمر يدخل في ذلك أيضًا إفراده بالأمر الشرعي الذي هو التشريع والحكم والتحليل والتحريم.

لذلك فإنّ الذي يدّعي لنفسه حق التشريع من دون الله فقد كفر وأشرك، وكذلك من حلّل أو حرّم مع الله أو شرّع ما يخالف شرع الله فقد كفر بالله وجعل من نفسه شريكًا لله، من حلّل أو حرّم أو شرّع من دون الله عز وجل قد أشرك بالله وجعل من نفسه شريكًا لله في ربوبيته، وقد سمّى الله ذلك شركًا، **قال سبحانه: ﴿أَم لَهُم شُرَكاءُ شَرَعوا لَهُم مِنَ الدّينِ ما لَم يَأذَن بِهِ اللَّهُ﴾.**

وكذلك ينبغي أن نعلم أنّ الذي يشرّع للناس من دون الله أو ادّعى ذلك واستشرفه فقد جعل من نفسه ربًا وادعى الربوبية حتى لو لم يقل بلسانه أنّه رب.

اسمع، اسمع يا أخي الكريم، لقول الله تعالى عن اليهود والنصارى: ﴿اتَّخَذوا أَحبارَهُم وَرُهبانَهُم أَربابًا مِن دونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، وهؤلاء الأحبار والرهبان لم يكونوا يدّعون أنّهم

يخلقون أو يرزقون وإنّما كانوا يشرّعون، ويحلّلون ويحرّمون، ويحكمون بأهوائهم، فكان فعلهم هذا ادعاءً للربوبية.

روى الإمام الطبري في تفسيره عن السدّي في **قوله تعالى: ﴿اتَّخَذوا أَحبارَهُم وَرُهبانَهُم أَربابًا مِن دونِ اللَّهِ﴾** قال عبد الله بن عباس: "لم يأمروهم أن يسجدوا لهم ولكن أمروهم بمعصية الله فأطاعوهم فسماهم الله بذلك أربابًا"، لذلك فإن تشريع الأحكام، والتحليل والتحريم والحكم بها هو من خصائص الربوبية تمامًا كالخلق والرزق والتدبير والتصرف، فمن ادّعى ذلك فقد ادّعى الربوبية، وهو بلا شك من رؤوس الطواغيت.

إنّ شرك التشريع أيها الأحبة تفشّى في العصور المتأخرة، بل وعمد الطواغيت إلى جعله حالة يعيشها الناس، ويرونها، وينشر فيهم الزعم بصحتها، بل وحمل الناس عليها، من ذلك البرلمانات، البرلمانات التي تسمى في بعض الدول مجلس الشعب، وفي دول أخرى مجلس الشورى، وفي دول أخرى مجلس الأمة، ونحو ذلك من التسميات هي كلها تدور حول مجالس برلمانية تمارس التشريع من دون الله، هذه المجالس البرلمانية تسمى حسب قوانين الطواغيت بالمجالس التشريعية، وكما تعرفون فإنّ الدول الطاغوتية المعاصرة قسّمت السلطات إلى ثلاثة أقسام: السلطة التنفيذية، والسلطة القضائية، والسلطة التشريعية.

السلطة التشريعية جُعِلَت للبرلمان وسمّي بالمجلس التشريعي، وادّعوا بقوانينهم أنّ التشريع يناط بالبرلمان وأعضائه، فهذه المجالس أيها الأحبة أنيط بها التشريع المطلق من دون الله عز وجل، وهذا بحد ذاته كفر وردّة وشرك أكبر حتى إن لم يمارس أعضاؤها التشريع، فإنّ مجرد أن يستشرفوا التشريع من دون الله، ويسعوا إليه، ويناط بهم هو شرك وكفر والعياذ بالله.

فمن هنا إنّ البرلمانات هي مجالس كفرية شركية يكفر من انتمى لها أو سعى إليها أو استشرف التشريع فيها من دون الله، وكذلك فإنّ العضو في البرلمان المترشّح والمستشرف هو كافر مشرك جعل من نفسه ربًا، وادّعى خاصية من خصائص الربوبية، لا يعذر لا بجهل ولا بتأويل، نعوذ بالله من ذلك الضلال ومن ذلك التحريف والتبديل.

أيها الأحبة في الله، في البرلمان يحلّون فيه ما يشاؤون ويحرّمون فيه ما يشاؤون، في البرلمانات أو من خلال البرلمانات يقنّن الزنا وتباح الفاحشة، في البرلمانات تجرّم الدعوة ويجرّم الجهاد، في البرلمانات يوالى الطواغيت والكفار وتسنّ قوانين محاربة الموحدين.

البرلمان قائم على التشريع من دون الله والتحليل والتحريم، وإذا تأملت في حال برلمانات الدول الطاغوتية -خاصة العربية- لرأيت العجب العجاب؛ فكم من كفر أباحوه، وكم من فاحشة قنّنوها وشرّعوها وجعلوا لها أصولًا وضوابط لنشر الفاحشة لا أقل ولا أكثر، وكم من حدّ بدّلوه، هذا فعل البرلمانات.

وحقيقة إن أردنا أن نفصّل أكثر ونذكر الشواهد والأدلة فلا يسعنا حقيقة هذا المقام، وفيما ذكرناه غُنْية وكفاية، والحذر من أن يزعم بعض الناس أنّ البرلمان هو عبارة عن سلطة إدارية أو تشريعات إدارية فقط، تنظيمية وليست تشريعات طاغوتية، فنقول هذا هراء بل ويكفي للتدليل على كفر البرلمان وأعضائه أنّ البرلمان أنيط به حسب قوانينهم التشريع المطلق من دون الله، ولذلك تجدهم يسمّون أي عضو بالبرلمان بالمشرّع فيقولون المشرّع المصري، والمشرّع السوري، والمشرّع الأمريكي ونحو ذلك، فهذا بحد ذاته كافٍ في إظهار كفر البرلمان وأعضائه.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،

ما زلنا وإياكم أيها الأحبة نتحدث عن شرك التشريع وبالأخصّ شرك البرلمانات:
من مناطات التكفير في البرلمانات أيضًا القسم على المحافظة على الدستور، فمما هو معلوم أنّ هذه الدساتير والقوانين التي تحكم بلاد المسلمين والتي يجبر الطواغيت الناس عليها هي دساتير شركية وقوانين كفرية تجعل الحكم لغير الله ولا ترفع بشرع الله رأسًا.

فهذه البرلمانات التشريعية أول ما يدخلها العضو في الدورة الانتخابية يُلزم بالقسم على الدستور فيقسم بالله أن يحافظ على دستور البلاد، وهذا يُلزم به كل عضو في البرلمان، وهذا القسم أيها الأحبة هو قسم أن يحافظ على شرك القوانين وأن يحميها، وهذا عين الكفر والردّة عن دين الله.

فهل يستقيم أن يشهد الإنسان أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله ثم يأتي فيقسم على أن يحافظ على الشرك بالله؟! لا والله، ما يستقيم، أيعقل أن يدّعي الإنسان الإسلام والإيمان ثم يأتي ليقسم على أن يحافظ على الكفر والشرك والعصيان! لا والله، ما يستقيم، لذلك فأعضاء البرلمانات يقعون في الكفر أيضًا من هذه الجهة أنّهم يقسمون على المحافظة على الدستور، نعوذ بالله.

لذلك أيها الأحبة نحن لمّا نكفّر أعضاء البرلمانات نكفّرهم وعندنا الأدلة، نكفّرهم فكفرهم ظاهر أيها الأحبة، مهما طالت لحاهم ومهما ذاع صيتهم، ونتقرب إلى الله بتكفيرهم، خاصة أعضاء البرلمان المصري؛ فبعد سقوط ذلك الطاغوت "مبارك" ولج أدعياء العلم في شرك الانتخابات والبرلمانات وأفتوا الناس وضلّلوا العامة وأوقعوا الناس في الكفر والعياذ بالله،

ودخلوا البرلمانات بلحاهم وأثوابهم القصيرة -زعموا-، فهؤلاء نتقرب إلى الله بتكفيرهم، حتى ذلك الذي نجح في انتخابات الشرك والردّة فأقسم على الدستور وحكم بغير ما أنزل الله ثم حارب المجاهدين فهذا أيضًا نتقرب إلى الله بتكفيره، وهو المدعو "مرسي" عليه من الله ما يستحق، فهذا أحد مناطات التكفير عند البرلمانيين.

كذلك من الكفر الذي يقع فيه عضو البرلمان: التشريع من دون الله، فهذا العضو يشرّع من دون الله ويمارس ذلك خاصة في التشريعات الصريحة الواضحة التي فيها تحليل للحرام وتحريم للحلال، وتبديل للحدود والأحكام، ولا شك أنّ التشريع من دون الله كفر أكبر حتى لو لم يستحل ذلك، من شرّع مع الله، من شرّع من دون الله كفر وأشرك حتى لو لم يستحل، ومن اشترط الاستحلال فذلك عين التجهّم والإرجاء، نعوذ بالله من الضلال، فالتشريع من دون الله بحد ذاته ذنب مكفّر مخرج للإنسان عن الملة.

كذلك مما يلزم العضو من دخول البرلمان إقراره بشرعية البرلمانات وشرعية عملها، والتزامه بمبادئها ومبادئ دساتيرها، وهذا أيضًا كفر وشرك برضاه بالكفر وإقراره به، ومن رضي بالكفر كفر.

ونعود فنقول إنّ مجرد أن يرشّح المرء نفسه للبرلمانات هو كفر أكبر مخرج من الملة؛ لأن حقيقة المترشّح أنّه يسعى أن يصبح مشرعًا من دون الله، فحينها حتى لو لم يمارس التشريع من دون الله وحتى لو لم يقسم على الدستور هو كافر بالله ومشرك، بل حتى إن لم يفز بالانتخابات طالما أنّه ترشّح وسعى لأن يكون مشرعًا فهذا كافر مشرك؛ لأنّه سعى إلى الكفر وعزم عليه، ومن عزم على الكفر في المآل كفر في الحال، لذلك فإنّ المشرّع من دون الله -خاصة أعضاء البرلمانات- هم كفار مشركون أشركوا شركًا أكبر وليس لهم منا إلا التكفير والسيف.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ما زلنا وإياكم أيها الأحبة في الله نتحدث عن نواقض التوحيد، وما زلنا نتحدث عن النواقض التي تنقض توحيد الربوبية، وكنا قد تكلمنا في ما مضى عن شرك التشريع وتحدثنا بتفصيل عن شرك البرلمانات وبيّنا أنّها مجالس شركية كفرية تمارس التشريع من دون الله عز وجل، وحقيقة -وهذا من سنة الله تعالى في خلقه- أنّها قد نبتت نوابت في الأمّة استصعبت طريق النبي -عليه الصلاة والسلام- واستسهلت طرق الشيطان، فولجوا في هذهِ البرلمانات والانتخابات وروّجوا للناس ذلك على أنّ هذا الدخول إنّما هو لمصلحة الدين والدعوة وإنّما هو للضرورة، ولذلك فبعض الناس يسأل إن كان دخول البرلمانات والانتخابات التشريعية كفر وشرك فما حكم إذاً من يترشّح لهذه البرلمانات بحجّة مصلحة الدين أو الدعوة أو الضرورة؟

<u>والجواب</u>: أنّ الله عز وجل جعل أصل ديننا هو التوحيد وهو أعظم المصالح وأولها، وهو الذي يقدم على كل شيء وعلى كل ما سواه من المصالح، فبالتالي أيُّما شرك أو كفر يحرم اقترافه أو ارتكابه بحجّة مصلحة أو دعوة ضرورة أو نحو ذلك، وبالتالي فهؤلاء الذين يدخلون البرلمانات ويترشّحون لها بدعوة المصلحة أو الضرورة أو الدعوة إنّما هم ملبّسون على الناس وإنّما هم مشركون بالله والعياذ بالله، ثم إنّ دخول هؤلاء كما أسلفنا هو عين الشرك وعين ادعاء الربوبية، وهل يقبل التأويل في الكفر الصراح؟ كلا والله، فهذا المترشّح يشرّع من دون الله عز وجل ويدّعي الربوبية ويسوّغ للكفر، فأي مصلحة في هدم الدين! نعوذ بالله من ذلك الضلال.

وهنا نبتت شبهة عند بعض الناس وعند بعض المنتسبين للإسلام عن حكم من يدخل البرلمانات أو يترشّح لها للمصلحة أو للضرورة لكن دون أن يقسم على الدستور ودون أن يشرّع من دون الله، ولرد على هذه الشبهة نقول:

إنّ المترشّح للبرلمانات إنّما حقيقة فعله أنّه يسعى لأن يكون مشرّعًا من الله، فهذه البرلمانات المجالس التشريعية إنّما حقيقة فعلها التشريع المطلق من دون الله، والطواغيت قد أناطوا التشريع المطلق بهذه البرلمانات وأعضائها، فبالتالي فهذا المترشّح وهذا العضو في البرلمان سواءً أقسم أم لم يقسم، شرّع أم لم يشرّع هو مشرك كافر والعياذ بالله؛ لأنّه سعى للكفر واستشرفه ورضي به وعزم عليه.

وكذلك فإنّ هذا المترشح العضو في البرلمان يكفر أيضًا من جهة أخرى أنّه يجالس الكفار حال كفرهم دون إنكار ودون رضى ودون قيام عنهم، **قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾** [النساء: ١٤٠] أي: إذا قعدتم معهم حال كفرهم بالله وحال استهزائهم دون إنكار ودون قيام فإنّكم إذًا مثلهم في الكفر، **﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾** فهذا أيضًا مناط من المناطات المكفّرة لأعضاء البرلمانات فنعوذ بالله من ذلك.

وبهذا تعلم أيها الحبيب أنّ المجالس التشريعية تحقق فيها كثير من المناطات المكفّرة وليس القسم سوى مناط واحد من تلك المناطات، وحقيقة فقد أقر بعض علماء السوء بأنّ هذه البرلمانات باطلة ثم زعموا كذبًا على الله أنّه يجوز الترشّح والمشاركة فيها للضرورة وللمصلحة، ودأبت كثير من الأحزاب المنتسبة للإسلام على ترويج هذه الشبهة الخطيرة التي زعموا من خلالها أنّه يجوز الترشّح والمشاركة للضرورة.

وممن روّج لهذه الشبهة العظيمة الخطيرة "جماعة الإخوان المسلمين" وكذلك الأحزاب المنتسبة للسلف زورًا كمثل بعض دول جزيرة العرب وكذا بعض الأحزاب كما في مصر والجزائر وباكستان وغير ذلك من الدول.

فروجوا للناس أنّه يجوز لنا أن ندخل في البرلمانات من أجل الضرورة والمصلحة، ونحن نجيبهم بقوله تعالى: (فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) [النساء: ٥٩]، يقول الإمام ابن كثير -رحمه الله-: " وَهَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ تَنَازَعَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ أَنْ يَرُدَّ التَّنَازُعَ فِي ذَلِكَ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَمَا حَكَمَ بِهِ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ وَشَهِدَا لَهُ بِالصِّحَّةِ فَهُوَ الْحَقُّ، وَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ". (إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ) قال: فَدَلَّ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يَتَحَاكَمْ فِي محلِ النِّزَاعِ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلَا يَرْجِعْ إِلَيْهِمَا فِي ذَلِكَ، فَلَيْسَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ" انتهى كلامه يرحمه الله.

فأولئك الضالون زعموا أنّه يجوز لنا أن نترشّح للبرلمانات وأن ندخلها وأن نشرّع من دون الله تحت دعوة المصلحة والضرورة، ونحن نقول لا يجوز فعل الكفر من أجل المصلحة أو الضرورة.

ولذلك فأيّما أمرئٍ اعتقد بجواز فعل الكفر من أجل المصلحة أو الضرورة فنحن نسأله أن يأتينا بالدليل الصحيح الصريح في ذلك، ولذلك أيها الأحبة وتدبّروا وتفكّروا لو رددنا هذا الأمر إلى القرآن والسنة لوجدنا أنّ الله عز وجل لم يبح أن يفعل المرء الكفر من أجل المصلحة أو الضرورة أبدًا، قال الله تعالى: (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) فانظر أيها الحبيب كيف أنّ الله سبحانه لم يبح للمرء أن يقول كلمة الكفر إلّا عند الإكراه المعتبر فقط لا للضرورة ولا للمصلحة.

وهنا قد يقول قائل -وقد قالها الضالون قبل ذلك-: أليس الضرورات تبيح المحظورات وبالتالي فإذا كان البرلمان والتشريع من دون الله محظورًا فإننا ندخل ذلك للضرورة من أجل التغيير ومن أجل أن لا ندعها للعلمانيين، فنقول أيها الأحبة: إنّ الضرورة تبيح الحرام من ما هو دون الكفر ولكن لا تبيح الكفر أبدًا، وثمَّ فرق شاسع بين الضرورة والإكراه، فالضرورة هي أن تضطر لفعل شيء أنت لا تريده لكن لا يكون أمامك غيره وترى في نفسك إلجاءً إليه لكن ليس ثمّ من يلزمك عليه أو يجبرك على فعله أو يكرهك عليه فهذه ضرورة وليست إكراهًا، أمّا الإكراه فهو إلزام الغير بما لا تريد، الإكراه فيه إلزام وإجبار وإكراه بما لا تريد وليس لك مندوحة، أمّا الضرورة فعندك مندوحة ثم لا أحد يلزمك عليها.

ومن هنا فالمرء قد يباح له أن يرتكب حرامًا مما هو دون الكفر من أجل الضرورة كأكل لحم الخنزير عند الاضطرار، ولذلك أيها الأحبة فهذه القاعدة الفقهية المشهورة "الضرورات تبيح المحظورات" يقصد بها المحظورات التي هي دون الكفر ويدل على ذلك أنّ دليلها **قوله تعالى:** **﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]**، فهذه الأمور المذكورة في هذه الآية ليست كفرًا ومن فعلها غير مضطر فإنّه آثم وليس بكافر، وبالتالي فالضرورات تبيح المحظورات تحمل على تلك المحرمات التي هي دون الكفر ولا تحمل على الكفر أبدًا، فلا يباح الكفر من أجل الضرورة إطلاقًا؛ **لأن الله تعالى قال: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾**، ولم يقل سبحانه "إلا من اضطر" والفرق شاسع بين الضرورة والإكراه فلا يجوز التسوية بينهما، لذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في حديثه عن المحرمات قال: "منها مَا يَقْطَعُ بِأَنَّ الشَّرْعَ لَمْ يُبِحْ مِنْهُ شَيْئًا لَا لِضَرُورَةِ وَلَا لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ: كَالشِّرْكِ" قال: "منها" أي من المحرمات، "مَا يَقْطَعُ بِأَنَّ الشَّرْعَ لَمْ يُبِحْ مِنْهُ شَيْئًا لَا لِضَرُورَةِ وَلَا لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ: كَالشِّرْكِ

وَالْفَوَاحِشِ وَالْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ. وَالظُّلْمِ الْمَحْضِ وَهِيَ الْأَرْبَعَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْله تَعَالَى: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)" قال شيخ الإسلام: "فَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ مُحَرَّمَةٌ فِي جَمِيعِ الشَّرَائِعِ وَبِتَحْرِيمِهَا بَعَثَ اللَّهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ وَلَمْ يُبِحْ مِنْهَا شَيْئًا قَطُّ وَلَا فِي حَالٍ مِنْ الْأَحْوَالِ وَلِهَذَا أُنْزِلَتْ فِي هَذِهِ السُّورَةُ الْمَكِّيَّةُ".

وكذا قال ابن القيم -رحمه الله-: " وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْأُمَّةِ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْإِذْنُ فِي التَّكَلُّمِ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ لِغَرَضٍ مِنْ الْأَغْرَاضِ، إلَّا الْمُكْرَهَ إذَا اطْمَأَنَّ قَلْبُهُ بِالْإِيمَانِ".

فهذه كلها أيها الأحبة نصوص واضحة صريحة على أنّ الضرورة لا تبيح الكفر، فمهما بلغت بك الضرورة فيحرم عليك أن تقارف عمل فيه كفر وأن ترتكب شركًا من أجل ذلك، وبالتالي فدخول البرلمانات والانتخابات التشريعية لا تبيحه الضرورة ومن قال ذلك فعليه بالدليل الصحيح الصريح وإلّا فهو يقول على الله بغير علم، ونحن ديننا قال الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس ديننا قال فلان أو قال فلان أو قالت الجماعة الفلانية أو قال الحزب الفلاني، بل ديننا كتاب وسنة، فليأتوا بالدليل وإلا فهم يقولون على الله بغير علم ويبيحون الشرك بظنون وأوهام فنعوذ بالله من ذلك.

ثم من تأمل حقيقة في مسألة الإكراه يجد أنّ الشريعة جاءت وبيّنت حدود الإكراه فليس كل من ادعى الإكراه فهو مكره، ومن أعجب العجب ما ادعاه بعض علماء السوء وأحزاب البرلمانات وجماعات الضلالة أنّهم أكرهوا على دخول البرلمانات وهذه دعوة عريضة ودعوى لا دليل عليها، ولذلك إن شاء الله سنتحدث في درسنا القادم عن شروط الإكراه المعتبر إذ إنّه ليس كل من ادعى الإكراه فأنّه مكره بل جاءت الشريعة تبيّن حد الإكراه وشروطه.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

كنا أيها الأحبة قد تحدثنا في الدرس الماضي ورددنا فيه شبهات أولئك الذين روّجوا للبرلمانات والانتخابات تحت دعوى المصلحة والضرورة، وقلنا بأنّ الشرع لم يبح للإنسان أن يقول الكفر أو أن يفعله إلّا عند الإكراه المعتبر وقلبه مطمئن بالإيمان.

وهنا شبهة أيضًا روّجها بعض أولئك المفتونين الضالين بأنّ هذه الأحزاب المنتسبة للإسلام لم تدخل البرلمانات والانتخابات التشريعية إلا وهي مكرهة، أي أنّ دخولهم كان بتأويل الإكراه. وهنا أيها الأحبة لا بدّ أن نبيّن معنى الإكراه وحده، **الله عز وجل قال: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إيمانهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإيمان﴾ [النحل: ١٠٦]** ، فالإكراه هو رخصة للمرء في أن يقول كلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان، لكن ما هو الإكراه؟ إذ ليس كل من ادعى الإكراه يقبل منه بل هناك حد يعرف به المكره الحقيقي من الذي يزعم الإكراه بمجرد عقله وهواه، ولذلك يقول الإمام الخازن في تفسيره: " قال العلماء: يجب أن يكون الإكراه الذي يجوز له أن يتلفظ معه بكلمة الكفر أن يعذب بعذاب لا طاقة له به"، انتبهوا أيها الأحبة فنحن قوم بفضل الله عز وجل ديننا كتاب وسنة، نتّبع الدليل ولا نتعبد الله بآراء الرجال وأهوائهم أبدًا والله، "قال العلماء: يجب أن يكون الإكراه الذي يجوز له أن يتلفظ معه بكلمة الكفر أن يعذب بعذاب لا طاقة له به، مثل التخويف بالقتل والضرب الشديد والإيلامات القوية، مثل التحريق بالنار ونحوه" انتهى كلامه يرحمه الله.

فإذًا العلماء لمّا يذكرون معنى الإكراه وحده فإنّما يحصرونه بالقتل أو الضرب الشديد والتعذيب الشديد الذي لا طاقة للإنسان بتحمله، نعيد كلام الإمام الخازن -رحمه الله- قال: "قال العلماء: يجب أن يكون الإكراه الذي يجوز له أن يتلفظ معه بكلمة الكفر أن يعذب بعذاب لا طاقة له به، مثل التخويف بالقتل والضرب الشديد والإيلامات القوية، مثل التحريق بالنار ونحوه" انتهى كلامه.

ولذلك العلماء أيضًا ذكروا شروط الإكراه وهي كما يقول الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في الفتح قال: "**وَشُرُوطُ الْإِكْرَاهِ أَرْبَعَةٌ**:

الْأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ فَاعِلُهُ قَادِرًا عَلَى إِيقَاعِ مَا يُهَدِّدُ بِهِ، وَالْمَأْمُورُ -أي المُكْرَه- عَاجِزًا عَنِ الدَّفْعِ وَلَوْ بِالْفِرَارِ"، إذًا هذا أول شرط من شروط الإكراه أن يكون المُكْرِهُ قادرًا على تنفيذ تهديده بالقتل أو بالضرب الشديد أو نحو ذلك، وأن يكون المُكْرَه مأسورًا، عاجزًا عن الدفع، عاجزًا عن الهرب، عاجزًا عن الفرار، إذًا فأول شروط الإكراه أن يكون المُكرَه مأسورًا، وأن يكون المُكرِه قادرًا على إيقاع تهديده.

قال: "**الثَّانِي -أي الشرط الثاني من شروط الإكراه-**: أَنْ يَغْلِبَ عَلَى ظَنِّهِ -أي على ظن المُكْرَه- أَنَّهُ إِذَا امْتَنَعَ أَوْقَعَ بِهِ ذَلِك"، أن يغلب على ظن المُكْرَه أنّه إذا امتنع عن قول كلمة الكفر أوقع ذلك المُكْرِه تهديده بالقتل أو التحريق أو نحو ذلك.

قال: "**الثَّالِث -أي الشرط الثالث-**: أَن يكون ما هدده بِهِ فَوْرِيًّا فَلَوْ قَالَ -أي لو قال المُكْرِه- إِنْ لَمْ تَفْعَلْ كَذَا ضَرَبْتُكَ غَدًا لَا يُعَدُّ مُكْرَهًا"، وهذا الشرط الثالث من شروط الإكراه أن يكون التهديد فورياً، فلو هددك بالقتل أو التحريق ثم جعل هناك مسافة واضحة قد تتخلف فهنا لم يتحقق في الإنسان شرط الإكراه، قال: "فَلَوْ قَالَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ كَذَا ضَرَبْتُكَ غَدًا لَا يُعَدُّ مُكْرَهًا".

قال: "**الشرط الرابع**: أَنْ لَا يَظْهَرَ مِنَ الْمَأْمُورِ -أي المُكْرَه- مَا يَدُلُّ عَلَى اخْتِيَارِهِ" أي لا يزيد في قول الكفر، أي إن تحققت فيه شروط الإكراه وألزموه وأجبروه وأكرهوه على أن يقول كلمة الكفر وهددوه بالقتل أو التعذيب أو نحو ذلك فقالها؛ عليه أن لا يزيد، فإن قبلوا منه بكلمة فلا يجعلها كلمتين. انتهى كلام ابن حجر يرحمه الله.

كذلك من شروط الإكراه أيها الأحبة أن يكون الإكراه طارئًا لا مستمرًا، أي لا يداوم الإنسان على قول الكفر أو فعله، كذلك أن يكون فرديًا لا جماعيًا، وألّا يكون أيضًا فيه مضرة في الغير، فمن طُلِبَ منه أن يقتل نفسًا معصومة فيصبر ولا يفعل ذلك.

هنا أيها الأحبة يتبيّن معنا بما لا يدع مجالًا للشك أو الريب أنّ الخوف على الراتب أو المسكن أو الوظيفة أو البقاء في البلد أو نحو ذلك أو الخوف المجرد لا يبيحُ فعل الكفر ولا يعد الإنسان بمجرد ذلك مكرهًا، قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إيمانهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمان﴾، هذه الآية التي جاءت ببيان أنّ الإكراه رخصة للإنسان أن يقول كلمة الكفر إذا أُكْرِه، هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر -رضي الله عنهما- وأسباب النزول بلا شك تبيّن صحّة شروط الإكراه التي ذكرناها، فعمار كان مأسورًا وعذّب عذابًا شديدًا، وأوذي إيذاءً عظيمًا، كيف وقد قتل أبوه وأمه وعذّب حتى أكرهوه على أن يقول كلمة الكفر.

إذا فالذي يجعل الإنسان مكرهًا هو أن يهدد بالقتل أو نحو ذلك من الضرب الشديد والتعذيب الشديد والتحريق، وأن يكون مأسورًا عندهم، وأن يكون عاجزًا عن الهرب أو الفرار، بهذا الوصف يتحقق بالإنسان شروط الإكراه، وبهذا الوصف يكون مكرهًا إكراهًا شرعيًا ويكون الإكراه في حقه رخصة في أن يقول كلمة الكفر بشرط أن يكون قلبه مطمئنًا بالإيمان.

إذا ليس خوف الإنسان على الراتب أو المسكن أو البقاء في الوطن أو الوظيفة ليس ذلك من صور الإكراه في شيء، أبدًا وكلا والله، بل إذا أُكْرِهِ الإنسان على كلمة الكفر وكان يقدر على الفرار والهجرة فيجب عليه أن يهاجر ويترك بلده حتى يزول هذا الإكراه.

إذًا أيها الأحبة هؤلاء الذين يدخلون البرلمانات ويلجون في الانتخابات التشريعية ثم يقولون نحن ما فعلنا ذلك إلا إكراهًا واضطرارًا، فنقول لهم: كذبتم، كذبتم إي والله كذبتم، فمن ألزمكم على الانتخابات والبرلمانات؟ ومن الجأكم إليها؟ ومن أسركم ثم أكرهكم؟ ومن صبّ عليكم أنواع العذاب؟ لا أحد، من أكرهكم على ذلك؟ لا أحد، بل أنتم تتسابقون إلى البرلمانات وتسارعون إليها، بل وانشرحت صدوركم بها، إي والله، فهؤلاء لا ينطبق عليهم صدر هذه الآية: (مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إيمانهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمان) إي والله لا ينطبق عليهم صدر هذه الآية بل ينطبق عليهم تتمتها قوله تعالى: (وَلَ؟كِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * ذَ؟لِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)، هم ما دخلوا البرلمانات ولا دعوا الناس إليها إلا وصدورهم منشرحة بهذا الكفر والعياذ بالله، فالحذر الحذر من شبهات أولئك الضالين.

وهنا أيضًا ننسف تلك الشبهة وإن كنا قد نسفناها ضمنًا فلا مانع أيضًا أن نفصّل في نسفها، قولهم أنّ دخول البرلمانات والانتخابات يحقّق للمسلمين والأحزاب مصلحة، فكذلك نقول إنّ دعوة المصلحة لا تبيح الشرك أبدًا بل إنّ الكفر والشرك ليس فيه مصلحة أبدًا، فمما تقرر في شرعنا أنّ التوحيد كله مصلحة، وأنّ الشرك والكفر كله مفسدة، فالتوحيد مصلحة محضة والشرك والكفر مفسدة محضة، فهل يكون في الشرك مصلحة؟ أبدًا، هل يكون في الكفر نوع مصلحة أبدًا، لذلك نحن لا نقول أنّ الشرك فيه مصلحة أبدًا، ونقول حتى دعوى المصلحة لا تبيح الشرك،

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "فَإِنَّ الشِّرْكَ وَالْقَوْلَ عَلَى اللَّهِ بِلَا عِلْمٍ وَالْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالظُّلْمَ: لَا يَكُونُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ الْمَصْلَحَةِ"، يقول أيضًا شيخ الإسلام: "إِنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْأَمْرُ وَلَا الْإِذْنُ فِي التَّكَلُّمِ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ لِغَرَضٍ مِنْ الْأَغْرَاضِ، بَلْ مَنْ تَكَلَّمَ بِهَا فَهُوَ كَافِرٌ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُكْرَهًا فَيَتَكَلَّمَ بِلِسَانِهِ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ".

لذلك أيها الأحبة إنّ المصلحة هي في اتباع الشرع والثبات على التوحيد، وليست المصلحة أبدًا في الشرك والله تعالى يقول عن الشرك: (وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ) [البقرة: ٢١٧]، (وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ) [البقرة: ١٩١]، إذًا فالشرك والكفر هو أعظم مفسدة، إذًا فأي مصلحة تبيح لنا فعل الشرك أو الكفر! قال الله تعالى: (إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ) [المائدة: ٧٢]، وقال سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ)، بل لمّا سُئل النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أيُّ الذنبِ أعظمُ" ماذا قال؟ قال: (أن تجعلَ للهِ نِدًّا وهو خلقكَ)، فالشرك والكفر أعظم الذنب، والبرلمانات كما أسلفنا هي ادّعاء الأنداد لله، لمّا جعلوا هؤلاء البرلمانيين مشرّعين مع الله أي اندادًا، نعوذ بالله.

ثم أيها الأحبة مما هو معلوم أيضًا أنّ القول بالمصلحة لا يجوز مع وجود الدليل الشرعي المنافي لتلك المصلحة المزعومة، فلا يجوز أحدٌ أن يتعذّر بالمصلحة لاستحلال أمر جاء الدليل الشرعي وقام على تحريمه، فالقرآن كلّه جاء بالتوحيد مبينًا للتوحيد ومحرمًا الشرك، فأي دليل يبيح لنا فعل الشرك؟ أي دليل شرعي يبيح الشرك للمصلحة؟ قال الله تعالى: (وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ) [الزمر: ٧] ، (إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ) فالله عز وجل لا يرضى لنا الكفر، ولا يرضى لنا أي وسيلة كفرية، إنّ الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا.

بالله عليكم البرلمانات والانتخابات التي فيها ادّعاء التشريع من دون الله، والقسم على المحافظة على الدستور الشركي، ومجالسة العلمانيين والليبراليين والزنادقة والملاحدة والزناة وإقرارهم على كفرهم كل هذا الشرك وكل هذا الهراء أيباح من أجل مصلحة مزعومة؟ نعوذ بالله من ذلك، نعوذ بالله من انتكاس العقول وارتكاسها.

هل يجوز لأحد أن يسرق أموال الناس من أجل أن يتصدق؟ أبدًا، هل يجوز لأحد أن يستعفف عن الزنا بأعراض الناس ثم يأتي لينكح أمه؟ أعوذ بالله، هل يجوز لإنسان أن يسرق أموال الناس أو أن يتعامل بالربا من أجل الإنفاق في سبيل الله؟ وكذلك هل يجوز للإنسان أن يقترف أنواع الشرك، وأن يدّعي الربوبية، وأن يقر الشرك والكفر، وأن يرضى بالتشريع من دون الله، كل ذلك من أجل مصلحة الدين والدعوة! ومن أجل الضرورة! ومن أجل مصلحة المسلمين! إنّ الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا.

ولذلك أختم بهذا الكلام لسيد قطب -رحمه الله- لمّا قال: "من الصعب عليّ أن أتصور كيف يمكن أن نصل إلى غاية نبيلة باستخدام وسيلة خسيسة، إنّ الغاية النبيلة لا تحيا إلّا في قلب نبيل، فكيف يمكن لذلك القلب أن يطيق استخدام وسيلة خسيسة؟ بل كيف يهتدي إلى استخدام هذه الوسيلة".

ثم قال -رحمه الله-: "ولقد تتحول مصلحة الدعوة إلى صنم يتعبّده أصحاب الدعوة وينسون معه منهج الدعوة الأصيل، إنّ على أصحاب الدعوة أن يستقيموا على نهجها ويتحرّوا هذا النهج دون التفات إلى ما يعقبه هذا التحري من نتائج قد يلوح لهم أنّ فيها خطرًا على الدعوة وأصحابها، والله أعْرَف منهم بالمصلحة وهم ليس بها مكلفين إنّما هم مكلّفون بأمر واحد أن لا ينحرفوا عن المنهج وأن لا يحيدوا عن الطريق" انتهى كلامه يرحمه الله.

لذلك كل هؤلاء الذين دخلوا في البرلمانات والانتخابات من أحزاب الإخوان وحزب النور وأحزاب الجاهلية في الكويت والبحرين وغيرها، والأحزاب في الجزائر وباكستان والأردن وفلسطين وغزة كل هذه الأحزاب المنتسبة للإسلام والتي ترفع شعار الإسلام نقول لهم ونسألهم: هل دخول البرلمانات والتشريع من دون الله هل هذا كفر وشرك أم ليس بكفر أو شرك؟ فإن قالوا ليس بكفر أو شرك فقد كفروا ويجب عليهم أن يسلموا وأن يتعلموا التوحيد، إن قالوا ليس بكفر أو شرك فقد جهروا بالكفر، وإن قالوا نحن نعترف ونقر أنّ التشريع من دون الله شرك وأنّ دخول البرلمانات كفر لكن دخلناها من أجل الضرورة ومن أجل المصلحة وحتى لا نتركها للعلمانيين، فنقول لهم: إئتونا بالدليل الشرعي الصحيح الصريح من الكتاب أو السنة على جواز فعل الشرك للمصلحة أو على جواز فعل الشرك للضرورة، فإن أتيتم بالدليل وإلّا فأنتم تكذبون على الله وتكفرون بالله وتشركون بالله وتضلّلون الناس، فنعوذ بالله منكم، ونسأل الله عز وجل أن يهدي الناس وأن يردهم إلى الدين ردًا جميلًا، اللّٰهُمَّ آمين ...

هذا وجزاكم الله خيرًا ،

وصل اللّٰهُمَّ وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نكمل أيها الأحبة في الله ما بدأناه في مجلسنا السابق، وكنا قد فصّلنا في بعض الدروس السابقة في كفر الانتخابات والبرلمانات، ورددنا على بعض شبه القوم الذين أذاعوها بين الناس وروّجوا للشرك تحت دعاوى الضرورة والمصلحة.

ومن شبه القوم التي أذاعوها وأشاعوها بين المسلمين احتجاجهم بفتاوى بعض المنتسبين للعلم الذين أجازوا الانتخابات ودخول البرلمانات، فقد روّجت كثير من الأحزاب بأنّ الانتخابات البرلمانية التشريعية تجوز استدلالًا منهم بفتاوى بعض من أسموهم العلماء، وإنّنا نجيب وبالله التوفيق:

إنّ الاستدلال بكلام المنتسبين للعلم ليس دليلًا؛ فكلام العلماء يستدل له ولا يستدل به، فإن خالف كلام العالم النص الشرعي فحينها نقدم النص الشرعي ولا نقدم كلام العالم بل نضرب به عرض الحائط، فكما تعرفون أيها المسلمون إنّنا نتعبد لله تعالى بما أنزله علينا من الوحي من القرآن والسنة، فديننا دين نازل من السماء ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، والله عز وجل بيَّن لنا كل ما نحتاجه وكل ما يصلح دنيانا وآخرتنا، وكل النوازل التي تستجد وتستحدث إنّما نجد لها نظائر ونجد لها قواعد شرعية تجيب عليها، ولذلك فنحن قوم لا نستدل بكلام العلماء على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، أي لا نعارض كتاب الله وسنة نبيه بكلام العلماء أبدًا، قال الله تعالى ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥]، ولم يقل تعالى "ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المفتيين"، والله عز وجل أرسل لنا الرسل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤]، أرسل لنا تعالى الرسل لنطيعهم ونتبعهم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ

هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ) [الأنعام: ٩٠]، فهم الذين نتبعهم ونقتفي آثارهم، وهم المعصومون وهم لشرع الله مبلغون فنطيعهم ونتبعهم، أمّا ما سواهم فإنّهم يطاعون طاعة مقيّدة بطاعتهم لله عز وجل، ومن خالف الشرع فلا نطيعه فيما خالف فيه الشرع كائنًا من كان، قال الإمام الشافعي -رحمه الله-: "أجمع الناس على أن من استبانت له سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس"، كذلك قال الإمام أحمد -رحمه الله-: "لا تقلدني ولا تقلد مالكًا ولا الشافعي، وخذ من حيث أخذوا"، فنحن إنّما نأخذ من كتاب الله ومن سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومن آثار أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذين عدلهم الله عز وجل، أمّا كلام العلماء الثقاة المتّبعين للهدي فإنّما هو محاولة لفهم النصوص ولا نعارض به النصوص.

لذلك لا يقدم كلام العالم على النص الشرعي إلا ضال، ألم يقل ابن عباس -رضي الله عنهما-: "يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنْ السّمَاءِ، أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ"، سبحان ربي ينكر ابن عباس على من يعارض السنة، على من يعارض قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولو كان الكلام منسوبًا لخيرة الصحابة، قال الإمام أحمد ابن حنبل -رحمه الله-: "عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا اَلْإِسْنَادَ وَصِحّتَهُ، وَيَذْهَبُونَ إِلَى رَأْيِ سُفْيَانَ، وَاَللّهُ تَعَالَى يَقُولُ: (فَلْيَحْذَرِ الّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أو يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)"، قال الإمام أحمد: "أَتَدْرِي مَا اَلْفِتْنَةُ؟ اَلْفِتْنَةُ اَلشِّرْكُ لَعَلّهُ إِذَا رَدّ بَعْضَ قَوْلِهِ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ اَلزّيْغِ فَيَهْلَكَ".

فمن قدّم كلام من زعم أنّهم علماء على نصوص الكتاب والسنة فهو ضال، وهو واقع في الزيغ والفتنة فالحذر الحذر فإنّنا نتجرد للحق وللدليل.

لذلك إنّ زعم أولئك المفتونين أنّ المشاركة في البرلمانات مسألة اجتهادية هو قول باطل عين الضلال، إذ إنّ المشاركة فيها ليس اجتهادًا سائغًا، لا اجتهاد مع النص وإن جاء نصٌ شرعي بحرمة شيء وكان نصًا قاطعًا أي نعم فلا اجتهاد ولا قياس ولا رأي، إنّ نصوص القرآن من أوله إلى آخره

تنهى عن الشرك وتدعو إلى هدمه، وتدعو إلى التوحيد، وإنّ ادعاء الشرك والكفر الصريح والشرك البواح لا يقبل أبدًا، فأي اجتهاد سائغ في أمر شركي كفري ظاهر صريح؟ نعوذ بالله.

ثم إنّ أولئك الذين قالوا إنّ الخلاف فيها سائغ معتبر يلزمهم بأن يقرّوا بأن الخلاف في مسائل الأسماء والصفات معتبر وسائغ أيضًا ولا حرج فيه، بل يلزمهم أن نقول في كل مسائل الدين الخلاف فيها سائغ وهذا عين الضلال وما يقول به عاقل فضلًا عن عالم.

ثم إنّنا نقول لعموم المسلمين لأن كان بعض المشايخ والمنتسبين للعلم قد أفتوا بذلك بتلك الانتخابات ألا فليعلموا أنّ كثيرًا من علماء الأمة الصادقين الموحدين الثابتين قد أفتوا بحرمة هذه البرلمانات وبحرمة المشاركة فيها بل إنّ خيار هذه الأمة قاتلوا ضدها وذبّوا بدمائهم وجادوا بدمائهم لنسفها، وكلنا يعرف هذا الجهاد المبارك الذي ما قام إلا على ساق التوحيد والبراءة من الشرك وهدمه ونسفه، وما زلنا نذكر تلك الغزوة العظيمة التي أعلنها الإمام الأول أبو عمر البغدادي -رحمه الله- لمّا أعلنها غزوة على شرك العصر شرك الديمقراطية بحملة اقتفى فيها أثر أبي الأنبياء إبراهيم -عليه السلام- لمّا أسمى تلك الغزوة بـ"فأس الخليل" فبارك الله فيها، ونسف فيها الشرك وأظهر فيها التوحيد، وأني لأحسب تلك الغزوة وأمثالها سببًا في نصر الله عز وجل لهذه الدولة المباركة التي قامت على التوحيد وقامت على قمع الشرك والنديد.

لذلك أيها الأحبة في الله ألا فلتعلموا أنّ طريق البرلمانات طريق مسدود شرعًا وعقلًا وواقعًا وحالًا، طريق يؤدي إلى انسلاخ تلك الحركات والأحزاب من دينها، وطريق يميّع قضية التوحيد في وجدان المسلمين وقلوبهم وأذهانهم، وطريق يؤدي إلى تمكين الكفرة وهذا هو الواقع، فجماعة "الإخوان المسلمين" -زعموا- تسلك مسلك البرلمانات والانتخابات والولوج في دين الديمقراطية وإلى يومنا هذا ماذا جنوا؟ سراب في سراب، لا بركة، فلا للدين نصروا ولا للكفر كسروا، وتلك

نماذجهم في الجزائر، وتلك نماذجهم في أفغانستان والعراق، وتلك نماذجهم في اليمن، وذلك أنموذجهم الذي طاروا به فرحًا نموذج مصر لمّا فاز مرسيهم وتربّع على كرسي مصر ماذا كانت النتيجة؟ وكذلك غير هذا الحزب من الأحزاب التي سلكت سبيل الديمقراطية، بل حتى إن نظرنا نظرة خاطفة سريعة إلى أحوال أولئك المنتسبين للعلم وأولئك المشايخ الذين زعموا أنّهم علماء فأفتوا بالبرلمانات والانتخابات والديمقراطية، انظر إلى أي حالٍ وصل أمرهم، كفر بالله العظيم، ودخول في دين الطواغيت، وتشريع للحرب على الإسلام وأهله، فانظر إلى علماء الضلالة في مصر، سواء الذين وقفوا مع مرسي أو حزب التنور كلهم ولجوا في دين الشرك ثم لمّا انقلب عليهم الطواغيت فمنهم من والى السيسي المرتد ومنهم من لا زال يلهث وراء شرك خائر، فنعوذ بالله. وانظر أيضًا إلى حال علماء السوء علماء الضلال في جزيرة العرب إلى أين وصل حالهم، أولئك الذين فتنوا أيضًا بفتنة مصر العمياء، وصل حالهم أيضًا إلى دخول في ردّة صريحة بل أمعنوا في الردة الصريحة بدخولهم في مناصرة طواغيت الجزيرة عدا الموحدين، وآخرها إقرارهم وتأييدهم للتحالف الكفري العلماني الذي يقوده طواغيت آل سعود ألا لعنة الله عليهم أجمعين.

أيها الأحبة في الله إنّ المنهج في تغيير الواقع وإرجاع الأمة لمجدها وإقامة دين الله في الأرض هو منهج محمد صلى الله عليه وسلم، إنّ المنهج، إنّ الطريق، إنّ السبيل في إعادة دين الله وفي إقامة شرع الله وفي نسف الشرك وفي التغلّب على قوى الكفر والردة إنّما يكمن في اتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم، لا باتباع سبيل البرلمانات والانتخابات، ولا باتباع سبيل التصوّف والانزواء، ولا باتباع سبيل علماء الطواغيت، ولا باتباع سبيل البيانات البراقة الرنانة، إنّ السبيل في إقامة الدين وإرجاع الأمة إلى مجدها إنّما يكمن في اتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم، إنّ المنهج الشرعي في التغيير إنّما يقوم على ساق الدعوة إلى التوحيد وبيانه وتربية الأمة عليه، مع الإعداد والجهاد، فهذا هو نبيّنا -صلى الله عليه وسلم- منذ أول أن بعث يدعو إلى التوحيد ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]،

فمع دعوة النبي الناس إلى الدين، إلى التوحيد بشموله وأصوله دون اجتزاء، وتربية الصحابة عليه، مع ذلك لا بدّ من الإعداد والجهاد وهذا من هدي النبي صلى الله عليه وسلم، كما جاء في حديث حذيفة ابن اليمان في إحدى رواياته كما عند أحمد -رحمه الله- قال: كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَهُ عَنِ الْخَيْرِ وَأَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ كَمَا كَانَ قَبْلَهُ شَرٌّ؟ قَالَ: (نَعَمْ)، قُلْتُ: فَمَا الْعِصْمَةُ مِنْهُ؟ قَالَ: (السَّيْفُ)"، أي الجهاد، فهذا هدي النبي صلى الله عليه وسلم في التغيير، دعوة الناس إلى التوحيد وبيانه وتربية الأمة عليه مع الإعداد والجهاد وهو العصمة مع اعتزال الباطل، إنّ ديننا يقوم على اعتزال الباطل ولا يتم للإنسان التوحيد ولا يصح له إيمان إلا باعتزال الباطل واعتزال أهله بأوضاعهم الجاهلية، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وما كانت المعاداة في الله والبراءة من الكفار إلّا أبهى صورة لاعتزال أهل الباطل، قال تعالى في قصة أصحاب الكهف: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ﴾ [الكهف: ١٦] ، وهذا إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء يخاطب قومه بقوله: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤٨].

لذلك إنّ المنهج الصحيح في التغيير وإقامة الدين يكون بالدعوة وتربية الناس على التوحيد مع الإعداد والجهاد، ومع ذلك كله اعتزال الباطل، فإنّ صاحب الدعوة إذا لم يعتزل الباطل وأهله فإنّ دعوته لا تنجح، وإنّ الدعوة لا بدّ لها من جاذبية تستقطب العقول وتحركها لتهتدي إلى الحق فإن اختلط صاحب الدعوة مع الباطل وأهله واندمج معه فأين الصدق؟ وأين الحق؟ وكيف سيعرف أهل الحق من أهل النفاق وأهل الكذب من أهل الصدق، لا شك أنّ الثبات على المبادئ، على العقيدة، على التوحيد هو من أعظم ما يجذب الناس نحو هذه الدعوة ويلفت أنظار الناس إليها، خاصة حينما يرون نفاق أصحاب المناهج الأخرى الوضعية وتلوّنهم وتقلّبهم.

لذلك هذا هو طريق التمكين طريق إعداد وجهاد ودعوة وتربية واعتزال للباطل وأهله، ولا شك أنّه مفروش بالتضحيات والدماء والأشلاء والبلاء، قال ابن القيم -رحمه الله-: "فَلَا بُد من حُصُول الْأَلَم لكل نفس سَوَاء آمَنت أم كفرت لَكِن الْمُؤمن يحصل لَهُ الْأَلَم فِي بُد من الدُّنْيَا ابْتِدَاء ثمَّ تكون لَهُ الْعَاقِبَة وَالْآخِرَة وَالْكَافِر تحصل لَهُ النِّعْمَة ابْتِدَاء ثمَّ يصير فِي الْأَلَم، سَأَلَ رجل الشَّافِعِي فَقَالَ: أَيّمَا أفضل للرجل أَن يمكَّن أو يَبْتَلي؟ فَقَالَ الشَّافِعِي: لَا يمكَّن حَتَّى يبتلى فَإِن الله ابْتُلِيَ نوحًا وَإِبْرَاهِيم ومُوسَى وَعِيسَى ومحمدا -صلوَات الله وَسَلَامه عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ- فَلَمَّا صَبَرُوا مكنهم فَلَا يظنّ أحد أَنه يخلص من الْأَلَم الْبَتَّةَ" انتهى كلامه يرحمه الله من الفوائد.

وهذا هدي النبي -صلى الله عليه وسلم- أيها الأحبة، هو رفض الملك إن كان يؤدي للتخلي عن شرع الله، فقد عرض مشركو مكة على النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون ملكًا عليهم حتى قال له عتبة ابن ربيعة: " يَا ابْنَ أَخِي، إنْ كُنْتَ إنّمَا تُرِيدُ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَالاً جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالاً، وَإِنْ كُنْتَ إنّمَا تُرِيدُ بِهِ شَرَفًا سَوَّدْنَاك عَلَيْنَا حَتّى لا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَك، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلّكْنَاك عَلَيْنَا"، ومع ذلك فقد رفض -صلى الله عليه وسلم- تلك العروض مع أنّ أصحابه كانوا مستضعفين ويعذّبون ويحاصرون، وقد كان صلى الله عليه وسلم -وحاشاه- يستطيع أن يقبل ذلك العرض بأن يكون ملكًا على قريش أو رئيسًا لدار الندوة -برلمانها- ، وحينها يطلق الحريات العامة ويأمر بإخراج المساجين وتبييض المعتقلات ثم بعد أن يتمكن يبدأ بتطبيق الشريعة، وحاشاه صلى الله عليه وسلم أن يفعل شيئًا من ذلك، إذًا لا يقبل الملك بالتخلي عن شرع الله.

وقد جاء في حديث وإن كان في سنده مقال إلّا إنّ الأدلة تواترت على صحة معناه، قال: (خُذُوا الْعَطَاءَ مَا دَامَ عَطَاءً، فَإِذَا صَارَ رِشْوَةً عَلَى الدِّينِ فَلَا تَأْخُذُوهُ، أَلَا إِنَّ رَحَى الْإِسْلَامِ دَائِرَةٌ فَدُورُوا مَعَ الْكِتَابِ حَيْثُ دَارَ، أَلَا إِنَّ الْكِتَابَ وَالسُّلْطَانَ سَيَفْتَرِقَانِ فَلَا تُفَارِقُوا الْكِتَابَ) هذه الوصية للأمة

لا تفارقوا الشريعة، لا تفارقوا الكتاب، ولسنا نسابق الكفار على مجالس شركية ﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ [آل عمران: ١٧٦]، كم قالوها أولئك المفتونون أونترك البرلمانات والحريّات للعلمانيين يحكموننا، سبحان الله، فلمّا ولجوا في البرلمانات والانتخابات ماذا كانت النتيجة؟ عاد الأمر عليهم أشد ممّا كان وخسروا.

أمّا الدولة الإسلامية -حفظها الله- فقد سلكت سبيل النبي -صلى الله عليه وسلم-، فكفّرت بالطاغوت وآمنت بالله وإقامة الجهاد حتى مكّنها الله تبارك وتعالى وهي تواجه اليوم أكثر من مئة دولة تحاربها بالسيف والسنان، وما ذلك والله إلّا توفيق من رب العزة جل جلاله.

اللّٰهُمَّ اهدي المسلمين وثبّت الموحدين المجاهدين
وصل اللّٰهُمَّ وسلم وبارك على نبيّنا محمد،
ونكمل إن شاء الله في درسنا القادم،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ما زلنا وإياكم أيها الأحبة في الله في الحديث عن نواقض التوحيد، وكنا قد تكلمنا فيما مضى عن الشرك بالربوبية، فقلنا قبل ذلك أنّ الشرك: شرك في الربوبية، وشرك في الألوهية، وشرك في أسماء الله وصفاته، واليوم نتحدث بإذن الله عز وجل بهذا المجلس المبارك عن الشرك في الألوهية.

والفرق بين الشرك في الربوبية والشرك في الألوهية أنّ الشرك في الربوبية هو شرك في أفعال الله عز وجل وهو نقيض توحيد الربوبية، وتوحيد الربوبية -كما تعرفون وكما مر معنا سابقًا- أنّ توحيد الربوبية هو إفراد الله عز وجل بأفعاله من الخلق والرزق والتدبير والملك والتشريع والتحليل والتحريم ونحو ذلك، فهذه أفعال اختص الله عز وجل بها لا يشاركه فيها أحد، فالشرك في الربوبية هو أن تشرك أحدًا مع الله في أفعاله بأن تعتقد أنّ هنالك مدبّرًا مع الله أو مشرّعًا مع الله أو خالقًا مع الله أو متصرّفًا مع الله ونحو ذلك.

أمّا الشرك في الألوهية فهو الشرك في العبادة، وهو نقيض توحيد الألوهية؛ لأن توحيد الألوهية هو إفراد الله عز وجل بالعبادة، فالألوهية والإلهية تعني إفراد الله عز وجل بالعبادة واتصافه بكونه إلهًا عز وجل.

وهذا هو الفرق بين مسمى الإلهية ومسمى الألوهية، فالإلهية تعني اتصاف الله عز وجل بكونه إلهًا في نفسه، واستحقاقه عز وجل أن يعبد ويذل ويخضع له، وهذا يعني أيضًا أنّه متصفٌ بصفات الكمال، فالإلهية يعني اتصاف الرب بكونه إلهًا، اتصافه بصفات الكمال والربوبية، أمّا

معنى الألوهية فهي العبودية، هي العبادة، فالإلهية إذًا صفة من صفات الله عز وجل، أمّا الألوهية فهي العبودية، هي العبادة، هي أفعال العباد التي يفعلونها على وجه التقرب إلى الله عز وجل، فهذا فرق مهم لابدّ أن يلحظه طالب العلم بين مسمى الإلهية ومسمى الألوهية.

إذًا توحيد الألوهية هو أن تؤمن أنّ الله عز وجل هو الإله المعبود بحق وأن تفرد الله بجميع العبادات فلا تصرف عبادة لغيره عز وجل.

وطالما أنّ الشرك في الألوهية يعني الشرك بالعبادة فلابدّ إذًا أن نذكر معنى العبادة، العبادة -وإن كنا قد ذكرناها في دروس سابقة- إلا أنّه باختصار نقول: العبادة هي الذل والخضوع مع المحبة والتعظيم، وهي على التفصيل اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال، والعبادة تعرف بالشرع عن طريق الوحي، فكل أمر أمرنا الله عز وجل به فهو عبادة، وكل عمل أثنى الله عز وجل على فاعله فهو عبادة، وكل عمل يحبه الله ويرضاه فهو عبادة.

ثمّ إنّ العبادة -كما تعرفون- لا تصرف إلا لله عز وجل؛ لأن الله هو الذي تفرّد بالربوبية والخلق وتفرّد بصفات الكمال والجلال والعظمة فهو المسْتَحِقُ للعبادة، لا يستحق العبادة أحد سواه، بل من صرف العبادة لغير الله فقد كفر وأشرك، قال الله تعالى: (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) [المؤمنون: ١١٧]، والعبادة صرفها لغير الله شرك أكبر وكفر مخرج من الإسلام.

إذًا أيها الأحبة الشرك في الألوهية هو أن تصرف عبادة لغير الله وهو أن يتخذ الإنسان إلهًا آخر، إذًا ما معنى أن يتخذ الإنسان مع الله إلهًا آخر؟ أي أن يصرف له عبادة من دون الله عز وجل، فمن صرف عبادة لغير الله فقد اتخذ ذلك مع الله إلهًا آخر؛ وذلك لأن الإله هو المعبود فمن صرف

عبادة لغير الله فقد اتخذه معبودًا مع الله، أي اتخذه إلهًا مع الله، وهذا متقرر حتى في اللغة كما قال الفيروزآبادى -رحمه الله- في القاموس المحيط قال: "وكلُّ ما اتُّخِذَ مَعْبُوداً إِلهٌ عند مُتَّخِذِهِ".

إذًا هذا هو الشرك في الألوهية أيها الأحبة أن يصرف الإنسان عبادة لغير الله، وهذا هو الفرق بين الشرك في الربوبية والشرك في الألوهية، فالشرك في الربوبية أن تنسب لغير الله خاصية من خصائص الرب كأن تقول: "غير الله يرزق أو يدبّر أو يشرّع"، أمّا الشرك في الألوهية فهي أن تصرف عبادتك لغير الله.

وهذا الشرك أيها الأحبة انتشر انتشارًا عظيمًا في الناس عبر التاريخ، وبالفعل فغالب شرك الناس إنما يكون في الألوهية، فلابدّ إذًا أن نفصّل في بيان هذا الشرك حتى يحذره الناس، والعبادات كما تعلمون أيها الأحبة كثيرة ومتنوعة، إمكانية دخول الشرك أيضًا كبيرة عند كثير من الناس بسبب الجهل والإعراض عن الدين والعياذ بالله، لذلك كان علينا أن نبيّن هذا الأمر للناس ليستقيم دينهم.

أولًا نتحدث في شرك الدعاء والاستغاثة، العبادات كما تعلمون متنوعة "الذبح، النذر، الدعاء، الاستغاثة، التوكل، الخوف، الرجاء، الاستعانة، الاستعاذة، التحاكم" وغير ذلك، هذا كله عبادات فيحسن بنا أن نفصّل ونبيّن وجوه الشرك في كل عبادة.

أولًا شرك الدعاء والاستغاثة: ما هو الدعاء؟ وما هي الاستغاثة؟ الدعاء هو الطلب والسؤال، وهو يتضمن الافتقار والخضوع للمدعو، أمّا الاستغاثة فهي طلب إزالة الشدة والإنقاذ من الهلاك، وهي نوع من أنواع العبادة، فهي دعاء على وجه مخصوص، أمّا الدعاء فهو أعمّ سواءً كنت في حال الأمن والاطمئنان أم في حال الشدة.

بيّن الله عز وجل أنّ الدعاء عبادة وأنّ الاستغاثة عبادة، اسمع أيها الحبيب لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ فبيّن عز وجل أنّ الدعاء عبادة، وكذلك نجد هذا في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥-٦] فسمّى الله أيضًا دعاءهم من دون الله عبادة لمن دعوهم، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، من هنا أيها الأحبة فإنّ الدعاء والتوجّه بالطلب والاستغاثة هي من العبادات، الدعاء والاستغاثة والتوجّه في الطلب هذا كله عبادة، ففيه معنى الذل، ومعنى الخضوع، ومعنى الرجاء وغير ذلك من معاني العبودية؛ لذلك لا بدّ أن نبيّن حكم من دعا غير الله، فنقول:

إنّ من دعا غير الله واستغاث به وتوجّه إليه فهو مشرك شركًا أكبر، خارج من الإسلام، صارف للعبادة لغير الله عز وجل، من دعا غير الله أو استغاث به وتوجّه إليه فقد أشرك، ومن هذا القبيل من دعا غير الله أو استغاث به بشيء لا يقدر عليه إلّا الله فهو مشرك، وكذا من هذا القبيل من دعا من لا يستجيب أو طلب منه وتوجّه إليه أو استغاث به فقد أشرك شركًا أكبر.

إذًا ما الدليل على أنّ دعاء غير الله والاستغاثة به شرك مخرج من الإسلام؟ الأدلة كثيرة ومتظافرة بل هذا مما جاء القرآن ببيانه أعظم بيان، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وهذا فيه بيان أنّ من دعا مع الله فقد عبد غير الله، وكذا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦] والمقصود بالظلم هنا هو الشرك كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، بيّنت هذه الآية أنّ دعاء غير الله ظلم أكبر، واسمع أيضًا أخي الحبيب لقوله تعالى كما فى سورة فاطر قال

تعالى: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]، فهذه الآية العظيمة التي اجتثت جذور الشرك وأصوله بيّنت أيّما بيان أنّ دعاء من لا يستجيب والطلب منه والتوجّه إليه هو شرك أكبر مخرج من الإسلام ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ انظر كيف أنّ الله عز وجل سمّى الطلب والدعاء ممن لا يستجيب شركًا، وليس هذا بغريب فإنّ الله عز وجل قد سمّى دعاء من لا يستجيب والطلب منه عبادة لغير الله كما ذكرنا في الآية السابقة: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾، فبيّن الله عز وجل أنّ دعاء غير الله ممن لا يستجيب هو عبادة.

لذلك أيها الأحبة إنّ الطلب من الأنبياء والتوجّه إليهم ودعاؤهم من دون الله هذا عبادة لغير الله حتى إذا كان الطلب لأمر صغير؛ ولذلك لأن الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليه- هم في البرزخ لا يستجيبون لطلبات من دعاهم؛ لذا فالطلب منهم شرك أكبر، ألا فليحذر أولئك الذين يقولون: "مدد يا رسول الله" أو "أدركنا يا رسول الله" أو "اشفع لنا يا رسول الله" صلى الله عليه وسلم. وكذا فإنّ الطلب من الملائكة وإن كانوا أحياء إلّا أنهم غائبون عنا لا يستجيبون لطلبات من دعاهم، فالتوجّه إليهم بالدعاء شرك أكبر.

وكذا دعاء الجن والاستغاثة بهم شرك أكبر مخرج من الإسلام، فهم غائبون عنا لا يستجيبون لطلبات من دعاهم.

وكذا الأولياء من الأموات أو الغائبين لا يستجيبون لطلبات من دعاهم فدعاؤهم والتوجّه إليهم شرك.

وكذا الأحياء لا يجوز للإنسان أن يطلب منهم أمرًا لا يقدر عليه إلّا الله، فمن طلب من الأحياء سواء كانوا مشايخ أو أولياء أو نحوهم، من طلب منهم النصرة أو المدد أو الحفظ فقد أشرك شركًا أكبر، قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ).

لذلك أيها الأحبة نعيد ونجمل فنقول:

أولًا: من دعا غير الله عز وجل بشيء لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر، سواء دعا النبي أو الولي أو الجن أو الأحياء أو غيرهم، من طلب من غير الله الرزق فقد أشرك، من طلب من غير الله النصر أو الحفظ فقد أشرك، من طلب من غير الله الشفاء والعافية فقد أشرك.
كذلك من طلب من الأولياء أو الأنبياء أو غيرهم أن يتوسط له عند الله عز وجل كذلك هذا شرك بالإجماع.

ثانيًا: دعاء الأموات والطلب منهم والتوجّه إليهم شرك أكبر مطلقًا حتى لو سألهم ما يقدرون عليه لو كانوا أحياء، الطلب من الأموات والتوجّه إليهم بالدعاء شرك أكبر مطلقًا حتى لو طُلِبَ منهم أمرًا كانوا يقدرون عليه على حياتهم.

وكذلك دعاء الغائبين، لا يجوز سؤالهم ولا التوجّه إليهم على غيابهم مطلقًا، ومن دعا غائبًا أو ميتًا أو توجّه إليه فهو مشرك، بل إنّ دعاؤه هذا يدل على أنّه يعتقد أنّ له تصرفًا في الكون فيزداد بذلك شركه، وهذا أكثر ما يوجد عن غلاة الصوفية إذ يتوجهون إلى شيخ الطريقة بالدعاء والطلب والاستغاثة، مع أنّ شيخ الطريقة قد يكون في مدينة أخرى أو في دولة أخرى ومع ذلك يتوجّهون إليه بالدعاء والاستغاثة وهو لا يسمعهم أصلًا ولا يدري عنهم شيئًا، فهذا شرك أكبر مخرج من الإسلام.

وهنا قد يسأل سائل لو طلب الإنسان من الميت أن يدعو الله له،

هل يكفر بذلك أو لا؟

فهذا إن شاء الله نرجئه لدرسنا القادم،

وصل اللّٰهُمَّ وسلم وبارك على نبيّنا محمد،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره.

ما زلنا وإياكم أيها الأحبة في الله في الحديث عن الشرك في الدعاء والاستغاثة، وكنا قد ذكرنا أنواع الشرك في الدعاء والاستغاثة، ووصلنا إلى مسألة كنا قد قررناها أنّ دعاء الأموات والتوجّه إليهم والطلب منهم شرك أكبر مطلقًا حتى لو سألهم الإنسان ودعاهم بأمر يقدرون عليه لو كانوا أحياء، وسواء كان هؤلاء الذين يطلب منهم ويدعون سواء كانوا أنبياء أو أولياء أو ملائكة أو نحو ذلك فكل هذا الدعاء لهم شرك وعبادة لهم من دون الله.

ولكن بقي أن نذكر أمرًا وهو لو أنّ إنسانًا ذهب إلى قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أو إلى قبر ولي أو رجل صالح ولم يطلب منه مباشرة من هذا الرجل، لم يطلب منه أن يقضي حاجته مباشرة ولم يطلب من هذا المدعو من الأولياء ونحوهم أن يقضي حاجته مباشرة، وإنّما طلب منه أن يسأل الله عز وجل له، يعني طلب منه أن يدعو له، كرجل ذهب إلى قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال: "يا رسول الله ادعو الله لنا" أو "استغفر الله لنا" فهذا الفعل هو أيضًا شرك أكبر والآيات بعمومها تدل عليه: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]، فدعاؤك أو سؤالك هذا أو طلبك هذا لن يستجاب، ثمّ دعاؤك هذا ليس فيه نفع ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]، لذلك أيها الأحبة فالصحيح أنّ هذا السؤال شرك وعبادة من دون الله، والعياذ بالله.

ومن هذا القبيل ليحذر المسلم أن يطلب الشفاعة من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ لأن بعض الناس -هداهم الله- يقولون: "اشفع لنا يا رسول الله" أو "الشفاعة يا رسول الله" وهذا عمل محرم شنيع، وشرك أكبر لا يجوز، فالشفاعة لا تطلب إلّا من الله وحده، **قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]**، فلا يملكها إلّا الله، والواجب أن تطلب الشفاعة ممن يملكها بأن نقول: "يا الله أو اللّٰهُمَّ شفّع فينا محمدًا صلى الله عليه وسلم"، ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- هو الآن في البرزخ فمهما طلبنا منه أي شيء فلن يستجيب لنا، وقد ذكرنا في الدرس السابق أنّ الله عز وجل قد سمّى الطلب ممن لا يستجيب شركًا وعبادة من دون الله وعبادة لغير الله.

لذلك لو بحثت فلن تجد صحابيًا واحدًا فعل هذا الفعل أو قال هذا الفعل، فما كانوا -رضوان الله عليه- وهم أحرص الناس على الخير وهم أعلم الناس، ما كان أحدهم يذهب إلى قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- فيقول: "يا رسول الله اشفع لي" أو "يا رسول الله ادعو لي" أو "يا رسول الله استغفر لي" ما كانوا يفعلونه.

مع أنّ بعض أهل البدع المشركين حاولوا أن يستدلوا على جواز الطلب **بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]** فهذا في حال حياته -صلى الله عليه وسلم- وليس في حال موته بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم، ولو كان في حال موته لذهب الصحابة إلى صبر النبي -صلى الله عليه وسلم- وطلبوا منه أن يستغفر لهم أو أن يدعو لهم.

ومن قبيل هذا الاستدلال استدلال المشركين من المعاصرين والمتأخرين بأحاديث لا تثبت، بأحاديث باطلة منكرة كحديث "يا عباد الله أعينوني" أو "يا عباد الله أجيبوا" أو "إنّ لله خلقًا

خلفهم لحوائج الناس" فكل هذه لا تثبت عن النبي وهي باطلة، والآيات البيّنات الواضحات في كتاب الله عز وجل جاءت مقررة لتوحيد الله ونفي الشرك ونسفه، فكيف لهؤلاء -أهل البدع- أن يردوا الآيات البيّنات المحكمات بآثار باطلة وأحاديث واهية لا تثبت وليس لها سند.

إذا أيها الأحبة من طلب من غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله فقد أشرك، ومن طلب من الأموات وتوجّه إليهم ودعاهم فقد أشرك، ومن طلب من الغائبين وتوجّه إليه من الأولياء ونحوهم فقد أشرك.

إذا متى يكون الدعاء لا يدخل في مسمى العبادة؟

يكون الدعاء من الأمور المباحة التي لا تدخل في مسمى العبادة حينما تدعو حيًا بما يقدر عليه، يعني أن تطلب من إنسان حي يسمعك أن تطلب منه أمرًا يقدر عليه، كمثل أن تقول لأخيك أو لأهلك مثلًا: "أعطوني كأس ماء" أو "ائتني بالغرض الفلاني" أو نحو ذلك، فهذا الطلب من الأحياء الحاضرين القادرين هذا هو لا شك سؤال وطلب، ويدخل في مسمى الدعاء لغة إلّا أنّه ليس من باب الدعاء الشرعي، فهذا ليس بعبادة.

وكذا الاستغاثة بالأحياء القادرين على النصرة والإنقاذ فهذا جائز كما قال تعالى في قصة موسى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥]، فأن تستغيث برجل حي يقدر على أن ينقذك هذا أمر مباح وليس بعبادة، ولا يدخل في مسمى التألّه والتعبّد.

ومثله -كما قد يسأل بعض الناس- أنّه قد يكون الإنسان في مدينة أخرى فأتصل عليه في الهاتف أو في وسائل الاتصال عن طريق الإنترنت وأطلب منه أمرًا مع أنّه غائب عني، فهذا وإن

كان غائبًا إلّا أنّه أيضًا لا يدخل في مسمى الدعاء، دعاء التألّه والتعبّد؛ لأنه غائب حقيقة إلّا أنّه حاضر حكمًا، فأنت تتحدث معه بالهاتف أو بوسائل النت فهو يسمعك وأنت تسمعه فهذا في حكم الحضور، وهذا ليس من دعاء التألّه إنّما هذا طلب.

لذلك أيها الأحبة ليحذر الإنسان من أن يقع في هذا الشرك، شرك الدعاء والاستغاثة، وهذا الشرك حقيقة من أكثر من وقع فيه من المنتسبين للقبلة الصوفية، فتجدهم أو تجد كثيرًا منهم يدعون مشايخهم وأولياءهم المزعومين ويطلبون منهم ويتوجّهون إليهم بالدعاء كقولهم مثلًا: "مدد يا رفاعي" أو "مدد يا جيلاني" أو "أدركنا يا رسول الله" صلى الله عليه وسلم أو "أغيثونا أو أنقذونا" أو يقول قائلهم: "يا رجال الله" فهذا كله شرك وتوجّه بالعبادة والدعاء والاستغاثة لغير الله، وهذا من الشرك الأكبر الواضح البيّن.

كذلك ما يفعله بعض الصوفية من التعلّق بصورة شيخ الطريقة فتجدهم يعلّقون صورة شيخ الطريقة في بيتهم أو منهم من يحملها لأجل الحفظ، وهذا شرك أيضًا وتعلّق أكبر بغير الله، والعياذ بالله.

كذلك ما قد يقع فيه بعض الجهّال من أنّه يستمد الشفاء من الطبيب أو من السحرة والكهنة والعرّافين فهذا أيضًا شرك إذ الشفاء بيد الله عز وجل، فمن استمده من كاهن أو ساحر أو طبيب فهذا شرك، وهنا لا بدّ أن يفرّق الإنسان بين السبب، فلا شك أنّ ذهابك للطبيب من أجل معرفة الداء ثمّ أخذك للدواء هذا سبب للشفاء إلّا أنّ الشفاء بيد من؟ بيد الله عز وجل.

أيضًا بعض الصوفية يعتقد أنّ الأولياء يحمونه وينقذونه وهذا أيضًا من الشرك الأكبر، فالحذر الحذر أيها الأحبة، فهذا شرك أكبر ومخرج من الإسلام وصاحبه في النار، فنعوذ بالله من ذلك.

ولا شك أنّ الإنسان عليه أن يستغيث بالله عز وجل وأن يتوجّه إليه بالطلب والدعاء والسؤال، فيا أيها الحبيب اعلم أنّ الاستغاثة بالله عز وجل ودعاؤه هذا من أفضل الأعمال وأكملها وهو دأب الرسل (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) [الأنفال: ٩]، هذا نوح -عليه السلام- (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ) [القمر: ١٠]، وهذا إبراهيم -عليه السلام- يدعو ربه: "حسبي الله ونعم الوكيل"، وهذا نبيّنا -صلى الله عليه وسلم- يدعو ربه يوم أحد ويلح في الدعاء حتى جاء النصر والفتح.

فالتوجّه إلى الله بالدعاء والاستغاثة به سبحانه هذا دأب الرسل أيها الأحبة، وهذا الذي ينبغي أن يكون عليه حالنا، خاصّة مع ما نتعرض له من أهوال ومن تكالب الكفار أن نستغيث بالله عليهم وأن ندعو الله عز وجل وأن نتوجّه إليه أن يحفظنا ويلطف بنا.

ثم اعلم أيها الحبيب أنّ الدعاء هو العبادة كما قال -صلى الله عليه وسلم-: (الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ)، والدعاء باب عظيم للأجر وللخير والفضل، وفيه يتجلّى التوحيد، وفيه نسف للشرك، وفيه البراءة من حول الإنسان وقوته، والتوكل على الله عز وجل، واللجوء عليه، والاعتماد عليه سبحانه جل جلاله، ولا شك أنّ الدعاء حقيقة مما يزيد في محبة العبد لله وتعلّقه به سبحانه وتعالى، (إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ).

وهنا مسألة لابدّ أن نذكرها من باب تتميم الفائدة، أنّ الدعاء ينقسم إلى قسمين، الأول دعاء المسألة، والثاني دعاء العبادة.

فدعاء المسألة هو الطلب من الله وسؤاله كأن تقول: "يا رب اغفر لي، يا رب ارحمني، يا رب يسر أمري، يا رب اهدني" ونحو ذلك، أن تطلب من الله عز وجل حاجتك الدنيوية والأخروية، هذا يسمى دعاء مسألة وطلب.

أمّا دعاء العبادة فهو التوجّه إلى الله عز وجل بالعبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج، وجهاد ودعوة، وأمر بالمعروف ونهي عن منكر، ورباط ونحو ذلك من سائر أنواع العبادات، طلبًا لثوابه وخوفًا من عقابه وناره، ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، فالإنسان لمّا يتوجّه إلى الله بهذه العبادات هذه العبادات حقيقة هي فيها معنى الدعاء وهي دعاء خرج في صورة عبادة.

لذلك فإن العبادات تسمى دعاء، والدعاء يسمى عبادة؛ لذلك فالأقرب أنّ الدعاء والعبادة مترادفان، وإن كان قد يطلق الدعاء على المسألة والطلب إذا اقترن بمسمى العبادة، أمّا إن أطلق الدعاء هكذا مطلقًا فإنّه يشمل كل العبادات وكذلك العبادة إن أطلقت تشمل كل العبادات بما فيها الدعاء.

ولذلك من تأمل في آي القرآن يجد أنّ كثيرًا من الآيات تأتي بلفظ الدعاء، مثلًا: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، يعني فلا تعبدوا مع الله أحدًا، ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧] لا

شك هنا الدعاء مطلق فيشمل حتى العبادات كأنك تقرأ: "ومن يعبد مع الله إلهًا آخر لا برهان له به فإنّما حسابه عند ربه إنّه لا يفلح الكافرون"؛ لذلك الدعاء اذا أطلق يشمل كل أنواع العبادات، وكذلك لفظ العبادة إذا أطلق يشمل العبادات والدعاء، فالدعاء هو العبادة كما قال صلى الله عليه وسلم.

فأكثروا يا عباد الله من الدعاء والتوجّه إليه والانخلاع من الشرك والبراءة منه لعل الله أن يحفظنا بحفظه وينزل علينا ببركته نصرًا، إنّه ولي ذلك والقادر عليه .

وصل اللّٰهُمَّ وسلم وبارك على نبيّنا محمد،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره.

تكلمنا أيها الأحبة فيما مضى عن الدعاء والاستغاثة وبيّنا أوجه الشرك التي يقع فيها بعض الناس، ونكمل إن شاء الله تعالى في مجلسنا هذا للحديث عن الاستعاذة والاستعانة.

أيها الأحبة إنّ الاستعاذة والاستعانة والاستغاثة هي من أنواع الدعاء إجمالًا، إلّا أنّ بعض صور الاستعاذة والاستعانة خرجت عن مسمى الدعاء، الفرق بين هذه الألفاظ الثلاث أنّه إذا وقعت عليك الشدة وطلبت الإنقاذ منها والغوث فهذا يسمى استغاثة، هي طلب الإنقاذ بعد الشدة، أمّا إذا لم يقع عليك الشر لكنك تحذره وتترقب وقوعه فالتمست الحماية منه فهذه تسمى استعاذة، والاستعانة هي طلب العون في كل الأمور.

ونبدأ إن شاء الله تعالى في الحديث عن الاستعاذة، الاستعاذة أيها الأحبة لغة مأخوذة من العِوَذ وهي الالتجاء والاحتماء، الاستعاذة هي طلب الإعاذة أي الحماية من مكروه، فمن استعاذ بشيء فقد احتمى به واعتصم به، الاستعاذة هي أن تطلب الحماية من مكروه، والاستعاذة أيها الأحبة هي أنواع:

<u>أولًا</u>: الاستعاذة بالله عز وجل، يعني الاعتصام بالله، والالتجاء إليه سبحانه، وطلب الحماية منه، والاحتماء به من المكاره والشرور وأنواع المخاوف، فأن تعتصم به سبحانه وتحتمي به وتلتجأ إليه من سائر أنواع الشرور والمكاره هذه هي الاستعاذة بالله، **قال عز وجل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ١-٢] وقال عز وجل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ**

النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) [الناس: ١-٦] وهذا دأب النبي -صلى الله عليه وسلم- لمّا كان يدعو: (لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ)، فالمسلم يستعيذ بالله أي يلتجأ إليه ويحتمي به ويعتصم به سبحانه، وهذه الاستعاذة عبادة لله عز وجل يثاب عليها المرء، وفيها حقيقة إظهار للتوحيد.

ومن هذا القبيل تجوز الاستعاذة بصفة من صفات الله كعظمته وكلماته وعزته ووجهه ونحو ذلك، ومن الأدلة عليه كما في حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-: (أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ) فاستعاذ النبي -صلى الله عليه وسلم- بكلمات الله، وكذا في دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم-: (أَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي)، وكذا: (أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ)، وكذا كما في دعاء الألم: (أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ، وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ، وَأُحَاذِرُ)، فاستعاذ النبي -صلى الله عليه وسلم- بعزة الله وبقدرة الله، وكذا كما في البخاري لمّا نزل على النبي -صلى الله عليه وسلم- قوله تعالى: (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ) [الأنعام: ٦٥] قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (أَعُوذُ بِوَجْهِكَ) فاستعاذ بوجه الله عز وجل.

إذا فالاستعاذة بصفة من صفات الله هي استعاذة محمودة، وهي من التوحيد، وهي استعاذة بالله عز وجل، وهي من فعل النبي -صلى الله عليه وسلم-.

أمّا الاستعاذة الشركية فهي الاستعاذة بالأموات سواء كانوا أولياء أو أنبياء أو صالحين، الاستعاذة بالأموات مطلقًا، وكذلك الاستعاذة بالأحياء غير الحاضرين هذا كله من الشرك، يدخل في هذا الاستعاذة بالملائكة أو الاستعاذة بالجن، فهم وإن كانوا أحياء إلّا أنهم غير حاضرين وغير قادرين على العوذ، قال تعالى: (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) [الجن: ٦]، وهذا أنّه كانت العرب في جاهليتها، كانوا إذا نزلوا واديًا أو مكانًا موحشًا من البراري

وغيرها كانوا يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم بشيء يسوؤهم، ولذلك كان قائلهم يقول إذا نزل أرضًا: "أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن أن أضر أنا فيه أو مالي أو ولدي أو ماشيتي"، (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) أي خوفًا وإرهابًا وذعرًا.

إذًا فالاستعاذة والاحتماء وطلب الالتجاء بالأموات أو الأحياء غير الحاضرين من الملائكة والجان ونحوهم هذا كله شرك أكبر، وهذا مثل قول بعض الناس: "أجرنا يا رسول الله" نعوذ بالله، أو كما يقول بعض الصوفية لمشايخهم: " يابو دخيلك" كما عند الطائفة الخزنوية الكافرة المارقة، وكذا كما عند بعض الطرق من أنّهم يستمدون الحماية والإعاذة من الشيخ وبصورته، وهذا كله من الاستعاذة الشركية.

أمّا الاستعاذة الجائزة المباحة فهي أن يستعيذ الإنسان ويحتمي بما يمكن العوذ به والاحتماء من المخلوقين من البشر أو الأماكن أو غيرها فهذا جائز، كما لو طلبك ظالم وسعى في طلبك فذهبت واحتميت بأحد الناس واختبأت في بيته هذا كله من الاستعاذة الجائزة، أو مثلًا أن يحتمي الإنسان بمكان قد لا يصله سلطان العدو فيختبئ فيه أو يحتمي فيه فهذا أيضًا من الاستعاذة الجائزة، وهذا يشاهده الإنسان في واقع حياته، خاصة المجاهدون الذين يتخذون السواتر ويحتمون بها من نيران العدو، هذه كلها تدخل ضمن الاحتماء الجائز أو الاستعاذة الجائزة، قال -صلى الله عليه وسلم-: (سَتَكُونُ فِتَنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي)، ثمّ قال: (وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ)، وعند مسلم قال: (فَإِذَا نَزَلَتْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ)، فهنا النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (مَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ)، والإنسان يجوز له أن يستعيذ ويحتمي بما يمكن أن يحتمي به، وهذا من الاستعاذة الجائزة.

ثم ننتقل إلى مسمى الاستعانة، قلنا أنّ الاستغاثة -وكنا قد ذكرناها في الدرس الماضي- الاستغاثة هي طلب الغوث والإنقاذ من الشدة والهلاك، وذكرنا في هذا المجلس أنّ الاستعاذة هي طلب الحماية من مكروه.

أمّا الاستعانة فهي طلب العون واستمداده في كل الأمور، قال الله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [الفاتحة: ٥] أي نخصّك بالعبادة ونخصّك بالاستعانة، فالاستعانة المتضمنة للافتقار إلى الله والخضوع والذل هي عبادة، الاستعانة المتضمنة للذل والخضوع والافتقار هذه عبادة لا تصرف إلّا لله، (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) قدّم هنا ما حقّه التأخير فأفاد هذا الحصر والاختصاص، أي نخصّك يا ربنا بالعبادة ونخصّك بالاستعانة، فلا نعبد سواك ولا نستعين بأحد سواك، وهذا دلّ عليه حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- لابن عباس: (إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللّهِ)، إذًا الاستعانة أيها الأحبة المتضمنة للذل والخضوع والافتقار هي عبادة لا تصرف إلّا لله.

والاستعانة بالله أيها الأحبة من أعظم العبادات، وهي طلب العون من الله والاعتماد عليه بجلب المنافع ودفع المضار وتفويض الأمر إليه والتوكل عليه، وهذه لا تكون إلّا لله (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، ومن استعان بالله في أموره فليبشر بالمعونة.

ثمّ اعلم -وهنا نكتة بديعة- أنّ الله عز وجل قال: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) ، فالاستعانة من أنواع العبادة فلمَ خصّها الله في الذكر هنا؟ ذلك لأنّ الاستعانة عبادة ملازمة لكل عبادة؛ لذلك خصّت بالذكر، الاستعانة عبادة لازمة لكل عبادة، فأنت الآن لا تستطيع أن تصلي إلّا إذا أعانك الله، ولن تقدر على الجهاد إلّا بالاستعانة بالله، ولن تقدر على الغزو إلّا بالاستعانة بالله، بل ولن

تثبت على دين الله إلّا بالاستعانة بالله، فالاستعانة ملازمة لكل عبادة، فأنت تفتقر إلى عون الله في كل العبادات؛ لذلك خصّت بالذكر، وهذه والله نتناصح فيها أن نتذاكر دائمًا الاستعانة وأن نستعين بالله في كل أمورنا ونمضي، فهنا نفتقر إلى الله ونبرأ من حولنا وقوتنا.

أمّا الاستعانة الشركية فهي الاستعانة بالأموات مطلقًا أو بالأحياء الغائبين من الأولياء والمشايخ ونحوهم، هذا كله شرك أكبر، وكذلك الاستعانة بالأحياء على أمر لا يقدرون عليه، من استعان بحي وطلب منه العون أن يرزق أو يشفى هذا كله شرك، شرك في الألوهية وشرك في الربوبية أيضًا، فلا يجوز أن يستعين الإنسان بالأموات ولا بالأحياء في أمر لا يقدر عليه إلّا الله جل جلال الله.

ومن قبيل هذه الاستعانة الشركية ما يفعله بعض المشركين حينما يذبح ويقول: "باسم الشيخ" أو "باسم الولي" أو "باسم الضريح" أو نحو ذلك، فعدا أنّه أشرك في الذبح أيضًا، أيضًا أشرك في الاستعانة؛ لأنه استعان بشيخه أو بالقبر أو بالضريح وهذا شرك.

ومن هذا القبيل أيضًا شرك العلمانيين وغيرهم الذين يقولون: "باسم الشعب" أو "باسم الوطنية" أو نحو ذلك، ويستعينون بأعمالهم على هذا.

أمّا الاستعانة الجائزة المباحة فهي الاستعانة بالمخلوق على أمر يقدر عليه، أن تستعين بالمخلوق في أمر يقدر عليه كما لو أنّك تعاونت مع أخيك على حفظ القرآن أو تعاونت معه على أمر دنيوي مباح حتى أو تعاونت معه على أمر فيه طاعة فهذا كلها من الاستعانة الجائزة، قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢]، ويدخل في هذا أيضًا الاستعانة بالأعمال

والأحوال المحبوبة إلى الله عز وجل، والتي فيها إعانة على الطاعات والعبادات كما قال الله تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [البقرة: ١٥٣] فلا بأس أن يستعين الإنسان على بعض الأعمال بأعمال أخرى.

ونكون بذلك أيها الأحبة قد أتممنا الحديث عن شرك الدعاء والاستغاثة والاستعاذة والاستعانة،

وفي درسنا القادم إن شاء الله نكمل لنبيّن أنواع الشرك في العبادات الأخرى وبالله التوفيق،

وصلى الله وسلم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره.

ما زلنا وإياكم أيها الأحبة في الله في الحديث عن نواقض التوحيد التي لا بدّ لكل مسلم أن يحذرها وأن يجتنبها، فلا شك أنّ الوقوع في ناقض منها يعد كفرًا وانسلاخًا عن الملة وبالتالي فالنار والخلود في جهنم، والعياذ بالله.

حديثنا اليوم أيها الأحبة ما زلنا في الشرك في الألوهية الذي هو الشرك في العبادات، فالعبادة لا تصرف إلا لله عز وجل وصرفها لغير الله كفر وشرك وردة **قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].**

إنّ من أعظم العبادات التي أمرنا الله بها هي عبادة الذبح والنحر **قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]** ، فالذبح أيها الأحبة ذبح التأله وذبح التقرب والتعظيم هو عبادة بل من أعظم صور العبادة لما فيه من ذل وتعظيم وخضوع وتقرب للمذبوح له، الذبح والنحر كان عبادة لما فيه من ذل وخضوع وتعظيم وتقرب للمذبوح له، وهذا هو حقيقة العبادة، فالعبادة هي الذل والخضوع لله عز وجل؛ ولذلك فالذبح والنحر عبادة، وقد جاء النص الشرعي على بيان أنّ الذبح عبادة كما في **قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** فالنسك هنا كما قال السلف هو الذبح والنحر، **﴿وَنُسُكِي﴾** أي ذبحي، **﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]**، كذلك مما جاء في النصوص ما يدل دلالة صريحة على أنّ الذبح عبادة قوله عز وجل: **﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ١-٢].**

فكل عمل يحبه الله تبارك وتعالى أو أمرنا به فهو عبادة، ولا شك أنّ هذه النصوص وغيرها تدل على أنّ الذبح والنحر لا يكون إلا لله وأنّ ذبح التقرب والتعظيم والتأله لغير الله هو شرك أكبر، كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن علي -رضي الله عنه- قال: حدّثني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بأربع كلمات: (لعنَ اللهُ مَن ذبحَ لغيرِ اللهِ، لعنَ اللهُ مَن لعنَ والدَيْهِ، لعنَ اللهُ مَن آوَى مُحْدِثًا، لعَنَ اللهُ مَن غيَّرَ منارَ الأرضِ) ، فابتدأ النبي -عليه الصلاة والسلام- بلعن من ذبح لغير الله عز وجل، مما دل فيه دلالة على أنّ هذا الفعل شنيع وملعون صاحبه وهو شرك مخرج عن الملة.

هنا قد يسأل سائل: هل كل صور الذبح عبادة؟ لأننا نعرف أنّ بعض الناس قد يذبحون بعض ذبائحهم للأكل أو للتجارة بالبيع ونحوها كما يفعل الجزارون وغير ذلك، فإننا نقول: إنّ الذبح من حيث العموم ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الذبح لله، وهذا عبادة يثاب عليها الإنسان.

الثاني: الذبح المباح.

الثالث: الذبح الشركي.

فأولًا الذبح لله عز وجل: هو أن يذبح الإنسان تقربًا إلى الله وتعظيمًا له سبحانه وطلبًا للثواب كما يفعل المسلمون في الأضاحي، وكما يفعل الحاج بذبح الهدي وغيره، وكذا ما يفعله بعض الناس من ذبحهم لله عز وجل وتصدقهم بهذا الذبح وبهذا اللحم على الفقراء والمساكين طلبًا لثواب الله تبارك وتعالى، فهذا الذبح عبادة يثاب عليها الإنسان، بل إنّ الذبح حقيقة من أعظم ما يحبه الله تبارك وتعالى ويكفيك أنّ الله عز وجل قرنه بالصلاة (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) ، (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي).

أمّا **القسم الثاني** فهو الذبح المباح: ونقصد به الذبح الذي ليس فيه عبادة لله عز وجل أي لا يتعلق به ثواب، وبنفس الوقت ليس فيه محرم أو شرك فلا يتعلق به إثم أو ذنب، وهذا الذبح هو الذي يقصد به الذبح للأكل، كمن يذبح من أجل أن يطعم أهله ويوسّع عليهم هذا في الأصل ذبح مباح.

كذلك الذبح للبيع كما يفعله الجزارون في محلاتهم فهم يذبحون من أجل أن يبيعوا هذا اللحم.

وكذلك يدخل فيه إكرام الضيف، كما إن جاءك ضيف عزيز عليك فأردت أن تكرمه فذهبت وذبحت خروفًا أو نحو ذلك من أجل أن يأكل اللحم فلا شك أنّ اللحم من أعظم أنواع الطعوم وأزكاها وأفضلها، فأنت إنّما ذبحت إكرامًا لهذا الضيف دون تقرب له أو تعظيم أو تأليه فهذا الذبح أيضًا في الأصل هو مباح، قد يدخل في باب المشروع الذي يثاب عليه الإنسان إن كان قد قصد بذلك إكرام الضيف لله عز وجل، امتثالًا لأمره -صلى الله عليه وسلم-: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ).

أمّا **القسم الثالث** من أنواع الذبح وهو الذبح الشركي: فهو الذبح لغير الله، الذبح لغير الله تقربًا وتعظيمًا، من ذبح لغير الله عز وجل تقربًا للمذبوح أو تعظيمًا له هذا قد أشرك شركًا أكبر ووقع في الكفر عياذًا بالله.

كيف يميّز الذبح الشركي؟ الذبح الشركي أيها الأحبة هو الذي يراد به التقرب لا مجرد الأكل، أي لا مجرد اللحم إنّما يراد به التقرب للمذبوح له أو يراد به تعظيم المذبوح له، بمعنى أنّه قد يقوم بقلب الإنسان تعظيم لشيخ أو ولي أو رئيس أو نحو ذلك، يقوم بقلبه تعظيم لهذا الشخص وخضوع في القلب فيدفعه هذا التعظيم والخضوع لأن يذبح له تعظيمًا له وذلًا له وتقربًا إليه وهذا هو الشرك بعينه، أو قد يقع الإنسان في التقرب بمعنى أنّه ما ذبح هذا الذبح لهذا الشخص إلّا تقربًا إليه بأن

يرجو منه نفعًا أو يرجو منه دفع ضرر، فهذا ذبح يراد به التقرب لهذا الشخص على وجه الذل وهذا بلا شك شرك مخرج من الإسلام.

إذًا الذبح الشركي أيها الأحبة هو أن تذبح لغير الله تعظيمًا أو أن تذبح لغير الله تقربًا بأن تذبح له ترجو منه نفعًا أو دفع ضرر وهذا بلا شك -كما أسلفنا- شرك مخرج من الإسلام.

إذًا من ذبح لغير الله تقربًا وتعظيمًا فقد كفر، من ذبح لغير الله فقد أشرك سواء كان المذبوح له نبي أو ملك أو ولي أو شيخ أو ضريح أو رئيس أو نحو ذلك، كل من ذبح لغير الله فقد كفر وأشرك.

ثمّ أيّما ذبيحة تقدمها لغير الله عز وجل تقربًا أو تعظيمًا فهذا شرك حتى لو كان ذبابة، من ذبح لغير الله سواء كان خروفًا أو دجاجة أو هرًا أو حتى كما أسلفنا ذبابة فقد كفر وأشرك وخرج عن الإسلام؛ لأنه صرف عبادة لغير الله، والله المستعان.

وهنا نمثّل لبعض الصور التي انتشرت مع الأسف في بلاد المشركين من هذا الذبح الشركي:

أولًا: الذبح لأصحاب القبور والأضرحة هذا شرك أكبر، وهذا مشاهد ومنتشر في كثير من بلاد المسلمين مع الأسف حيث يذبح -وخاصة المتصوّفة- كثير منهم يذبحون لأوليائهم المزعومين وأضرحتهم وشيوخهم، فيذهب أحدهم إلى القبر ويذبح تقربًا لصاحب القبر أو الضريح وهذا شرك.

أيضًا من الذبح الشركي المخرج من الإسلام الذبح في مولد النبي -صلى الله عليه وسلم- أو في مولد ولي من الأولياء تعظيمًا لصاحب المولد وهذا شرك، وهذا أيضًا يقع فيه كثير من الناس خاصة تلك البلاد التي فشا فيها التصوّف حيث إنّ كثيرًا منهم في يوم مولد النبي -صلى الله عليه وسلم- يذبحون الذبائح ولا يراد بها إلّا تعظيم النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهذا التعظيم هو تعظيم تأله وتنسّك لغير الله، والعياذ بالله.

أيضًا من الذبح الشركي: الذبح للجن وهذا أيضًا -مع الأسف- منتشر عند كثير من الناس حيث يذبحون للجن تقربًا إليهم أو تخلصًا من شرهم، لذلك تجد كثيرًا من الناس إذا بنى بيتًا أو اشترى بيتًا ثم أراد أن ينزل فيه ويسكن يأتي بذبيحة ويذبحها عند باب البيت ثمّ يطمس بدمها على الجدار وهذا ذبح يراد منه تخليص البيت من أذى الجن، وهذا بلا شك كفر وردة، فالحذر الحذر، كثير من الناس كانوا يذبحون إذا اشتروا بيتًا أو بنوه إنّما يراد تخليص البيت من أذى الجن والعين، أمّا إن يذبح الإنسان تقربًا إلى الله عز وجل وشكرًا لله على نعمة البيت دون ما هذه البدع الشركية فهذا لا بأس فيه ولا حرج، أمّا ذبح هؤلاء إنّما يراد به الذبح تخلصًا من العين والجن.

ومن هذا القبيل ما يفعله السحرة والمشعوذون والدجّالون، فتجد الواحد من الناس يذهب إليهم من أجل دفع ضرر أو من أجل طلبًا لشفاء، فيطلب منه هذا المشعوذ الساحر الكافر يطلب منه أن يذبح دجاجة سوداء أو كبشًا لونه كذا أو خروفًا صفته كذا فهذا ذبح أيضًا هو ذبح للجن وهو شرك وكفر.

أيضًا من الذبح الشركي: الذبح للسلاطين والرؤساء والملوك تقربًا إليهم وتعظيمًا، فبعض الناس إن قدم عليهم رئيس أو ملك أو سلطان أو شيخ قبيلة تجد أنّهم يستقبلونه بالذبائح فيذبحونها عند قدومه أو بروزه ليسيل الدم أمامه أو عند رجليه وهذا واضح أنّه تقرب وتعظيم، بخلاف مثلًا إن زارك أمير -أمير مسلم يحكم بالشريعة- فأردت أن تكرمه إكرام ضيف فذبحت له، هذا لا حرج فيه ولا إثم، أمّا أن يذبح تعظيمًا له فهذا هو الشرك بعينه، والعياذ بالله، فالحذر الحذر، فالحذر الحذر.

ونكمل إن شاء الله تعالى في درسنا القادم .

وصلى الله وسلم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره.

تكلمنا أيها الأحبة في الله في مجلسنا السابق عن الذبح لغير الله، وبيّنا كثيرًا من تلك الصور التي الذبح فيها شرك وعبادة لغير الله عز وجل، ولا شك أيها الأحبة أنّ الذبح لغير الله سواء كان لنبي أو وليّ أو ضريح أو جنيّ أو نحو ذلك هو ذبح لغير الله عز وجل، وهو ذبح كفري شركي، وهو الذي أيضًا يراد من قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [المائدة: ٣] فهذا مما أهلّ لغير الله، ومما قصد به غير وجه الله، ومما تعبّد أصحابه فيه لغير الله.

كذلك أيها الأحبة الذبح لغير الله ملعون صاحبه مطرود من رحمة الله كما في الحديث الذي كنا ذكرناه، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (لعنَ اللهُ مَن ذبحَ لغيرِ اللهِ).

وهنا مسألة أخرى أيها الأحبة تتعلق بالذبح، فقلنا أنّ الذبح إذا قصد به التقرب والتعظيم هو العبادة ولا يصرف إلّا لله عز وجل.

ولكن هناك جانب آخر في مسألة الذبح لا بدّ أنّ نبيّنها ألا وهي التسمية عند الذبح، فممكن أن يأتي إنسان ويذبح لله عز وجل تقربًا إلى الله؛ لكنه عند الذبح يقول: "باسم الشيخ" أو "باسم الولي" أو "باسم النبي" أو "باسم الرفاعي أو الجيلاني" أو نحو ذلك، فهل هذا ذبح عبادة لله عز وجل وتوحيد أم ذبح شرك وكفر؟

بلا شك ولا ريب هذا الذبح هو أيضًا ذبح شركي لكن من جانب الاستعانة بغير الله تبارك وتعالى، فهذا شرك في الاستعانة بالله؛ لأن التسمية هذه هي فيها معنى الاستعانة وحتى الباء هذه باء استعانة، فأنت لمّا تذبح ذبيحتك الأصل والواجب أن تقول: "بسم الله" أي استعين على ذبحي هذا بذكر اسم الله، متبركًا به سبحانه، مستعينًا به عز وجل.

لذلك الذبح أيها الأحبة يظهر في عبادتان، عبادة الذبح والنحر والثانية عبادة الاستعانة، فإن ذبحت لله بسم الله فقد أفردت الله عز وجل بعبادتي الذبح والاستعانة، أمّا إن ذبحت لله لكن باسم غير الله فقد أشركت مع الله في الاستعانة، وهذا أيضًا يكون ذبح أهلّ لغير الله به (وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ)، إذًا فالواجب أن يذبح الإنسان لله وبسم الله، أمّا أن يذبح باسم الشيخ أو الولي أو الضريح أو القبر أو المسيح أو الملك فهذا كله شرك وكفر عياذًا بالله.

بذلك نكون قد أجملنا القول في مسألة الذبح، ننتقل إلى عبادة أخرى وهي عبادة النذر، ونحن ما زلنا في الحديث عن الشرك في الألوهية أي الشرك في العبادات، والنذر أيها الأحبة عبادة من العبادات.

فما هو النذر؟ النذر هو إلزام الإنسان نفسه بشيء، النذر هو أن يلزم الإنسان نفسه بشيء ما تقربًا وتعظيمًا للمنذور له، فالنذر فيه معنى التقرب وفيه معنى التعظيم للمنذور له؛ لذلك كان النذر عبادة أيها الأحبة، فمثلًا لمّا يأتي الإنسان ويقول: "لله عليّ أن أصوم شهرًا" أي أن أصوم شهرًا لله، ألزمت نفسي بذلك لله، فهذا فيه تقربًا إلى الله وتعظيم؛ لذلك النذر عبادة لما فيه من معنى التقرب والتعظيم والذل، وكذلك قد جاء النص الشرعي مبيّنًا أنّ النذر عبادة كما في قوله تعالى في سياق ثنائه على أولئك القوم قال: (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا) [الإنسان: ٧]،

أثنى الله عز وجل على هؤلاء القوم أنّهم يوفون بالنذر، ودلّ ذلك على أنّ الله يحب إيفاءهم بالنذر، وكل محبوب لله من الأعمال فهو عبادة، فمدح الله عز وجل للموفين بالنذر دلّ على أنّ النذر عبادة، كذلك عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ فَلَا يَعْصِهِ).

إذًا النذر عبادة أيها الأحبة لا تصرف إلّا لله عز وجل، فإن توجّه الناذر لغير الله بالنذر فقال: "للولي الفلاني عليّ كذا وكذا" فهذا قد توجّه بالنذر لغير الله عز وجل وهو بذلك مشرك خارج عن الملة.

النذر أيضًا أيها الأحبة تفشى خاصة في البلاد التي كثر فيها التصوّف وظهر فيها الرفض، فيه كذا وكذا من الزيت أو الأقمشة أو نحو ذلك، أو يقول قائل: "للشيخ الفلاني عليّ كذا وكذا من المال إن نجح ابني في الامتحان أو نحو ذلك"، وهذا نذر وهذا منتشر، كثير مما يشاهده الناس عند قبور الأولياء والأضرحة من أموال أو أشياء إنّما هي في الحقيقة نذور نذرها أصحابها، بل إنّ بعضهم وضع صندوقًا عند القبر من أجل أن يأتي الناس ويضعون نذورهم فيها، فهذا كله شرك أيها الأحبة. شرك النذر تفشى خاصة في -كما أسلفنا- البلاد التي كثر فيها التصوّف وظهر فيها الرفض (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) [المائدة: ٧٢].

فالحذر الحذر أيها الأحبة من الشرك، الحذر الحذر من النذر لغير الله، وهذه مسؤولية كل مسلم أن ينصح لله عز وجل وأن يبيّن للناس هذا الضلال الذي كانوا عليه لعلهم أن يتوبوا ويؤوبوا ويجددوا توحيدهم.

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره.

ما زلنا وإياكم أيها الأحبة في الله في الحديث عن الشرك في الألوهية أي الشرك في العبادات، ونتكلم في مجلسنا هذا بإذن الله عز وجل عن الشرك في السجود والركوع.

فالسجود والركوع أيها الأحبة هو عبادة من العبادات، فالسجود يتضمن كمال الذل والخضوع والانكسار للمسجود له، السجود يتضمن كمال الذل والتعظيم والخضوع والتذلل والانكسار للمسجود له، وكذلك الركوع أيها الأحبة فيه تعظيم وخضوع وتذلل وانكسار للمسجود له، وهذا هو حقيقة العبودية الذل والخضوع والتعظيم والتذلل والتأله؛ لذلك كان السجود والركوع عبادة لا يصرفان إلا لله، فلا نسجد إلا لله ولا نركع إلا لله تحقيقًا **لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].**

ومع ذلك جاء النص يبيّن أنّ السجود والركوع عبادة **قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]** وقال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]** وانتبه هنا أيها الحبيب إلى معنى حصر السجود لله **﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾** أي: لا يسجدون لغيره، **وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥] وقال عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧]**، وآيات كثيرة كلها تدل على أنّ السجود والركوع عبادة لا يصرفان إلّا لله؛ وذاك لأن السجود والركوع في الذل والخضوع والتذلل والانكسار والتأله للمسجود له.

ولذلك أيها الأحبة فقد عظّم الله عز وجل من شأن السجود له، **قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ)**، نعم الله عز وجل يحب السجود له، ويحب ذلك الحال، وهو من مواطن الإجابة، كذلك قال رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيُّ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: (سَلْ) فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: (أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ) قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قَالَ: (فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ)، نعم إنّ مظنة مرافقة النبي -صلى الله عليه وسلم- في الجنان هو أن يكثر الإنسان السجود لله الرحيم الرحمن، وما ذاك أيها الأحبة إلا تبيانًا لفضل السجود وعظيم أجره.

إذًا السجود لله عبادة، والركوع لله عبادة، ومن سجد لغير الله عز وجل سجودًا غير مأمورًا به ولا مأذونًا فيه فقد ارتكب شركًا أكبر ووقع في الكفر بصرف عبادة لغير الله تبارك وتعالى، من سجد لغير الله سجودًا غير مأمورًا به ولا مأذونًا فيه فقد أشرك شركًا أكبر، وهذا مثل من يسجد للقبور، ومثل من يسجد للأضرحة، ومثل من يركع لشيخه أو لسيده أو لأميره، وهذا هو الشرك أيها الأحبة.

وفي واقعنا المعاصر نجد هذا كثيرًا عند الرافضة وعند غلاة الصوفية، تجد أحدهم يركع لشيخه ركوعًا حقيقيًا، ركوع ذل وخضوع، وتجد الواحد منهم يسجد لشيخه ويقبّل قدمه كهيئة السجود خضوعًا وتذللًا، بل وصل الحال ببعضهم إلى السجود للقبر كما عند الرافضة وغلاة الصوفية.

كذلك مما وقع في عصرنا ما يفعله طاغوت المغرب من سجود الناس له وركوعهم له، فتجد حاشيته وأتباعه من المرتدين يسجدون له ويركعون له، بل وينافحون عن ذلك، ويزعمون أنّ سجودهم تحية وإكرام لا ذل وعبادة، وهم في ذلك كذبوا والله، فذلك الركوع وذلك السجود هو ذل

وخضوع وتأله لذلك الطاغوت المرتد، فالحذر الحذر أيها الأحبة من السجود لغير الله، فلا يسجد الإنسان إلا لله عز وجل، قال تعالى: (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ).

ولكن كهدهد سليمان لمّا غار على توحيد الله عز وجل فأنكر على أولئك القوم في اليمن سجودهم لغير الله فقال: (أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ) [النمل: ٢٥].

قد يقول قائل: "ألم يقل الله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) [البقرة: ٣٤]"، فنقول: إنّ هذه السجدة ليست سجدة عبادة أو تأله أو خضوع لآدم أو ذل فقد فرّغت من هذا المعنى فهي مجرد سجود تحية وإكرام، كما قال قتادة -رحمه الله- فيما رواه عنه الطبري في تفسيره في قوله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) قال: "كانت الطاعة لله، والسجدة لآدم، أكرم الله آدم أن أسْجَد له ملائكته"، فهي سجدة إكرام وتحية لا تأله وعبادة، وهذا كان مسموح في شرع من قبلنا.

كذلك سجود إخوة يوسف لأخيهم هو سجود تحية وإكرام لا سجود عبادة وتأله، كذلك قال قتادة في قوله تعالى: (وخروا له سجّدًا) ، قال: "وكانت تحية من قبلكم، كان بها يحيِّي بعضهم بعضًا، فأعطى الله هذه الأمة السلام، تحية أهل الجنة، كرامةً من الله تبارك وتعالى عجّلها لهم".

فسجود التحية والإكرام هذا كان مسموح به في شرع من قبلنا كما قال قتادة: "وكانت تحية من قبلكم، كان بها يحيِّي بعضهم بعضًا"، أي هو سجود تحية لا سجود تأله أو ذل أو خضوع، مثله

مثل المصافحة عندنا في شرعنا، هي مصافحة تحية وسلام لا ذل وخضوع وانكسار، وكذا كان السجود -سجود الإكرام والتحية- في شرع من قبلنا يراد بها تحية لا يراد بها الذل أو الخضوع، وهذا السجود -سجود الإكرام والتحية- يقع إمّا بأمر الله أو بإذن الله عز وجل، كما في سجود الملائكة لآدم إنّما وقع بأمر الله، الله أمرهم بالسجود فكان سجودهم عبادة لله، وسجدتهم لآدم سجدة تحية، وسجود إخوة يوسف لأخيهم هو أيضًا سجود تحية وقع بإذن الله؛ لأن في شرع من قبلنا كان السجود مأذونًا به، سجود التحية والإكرام.

ونكمل إن شاء الله تعالى في درسنا القادم .

وصلى الله وسلم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.